مجلة كلية الآداب بقنا (دورية أكاديمية علمية محكمة)

# التماسك النصي في سورة لقمان
## (دراسة تطبيقية)

د. ليلة يوسف حميد

قسم اللغة العربية – كلية الآداب بقنا

أبحاث

# التماسك النصى فى سورة لقمان
## (دراسة تطبيقية)

د. ليلة يوسف حميد
قسم اللغة العربية - كلية الآداب بقنا

سورة لقمان هى الحادية والثلاثون من بين سور المصحف الشريف توسطت بين سورتى الروم والسجدة على الترتيب عدد آياتها أربع وثلاثون آية وهى ثلاث وثلاثون فى المكى والمدنى.[1] وهى السورة السابعة عشر من بين تسع وعشرين سورة افتتحت بحروف الهجاء المقطعة عدد كلماتها (٥٥٠) كلمة عدد حروفها (٢١٢١) حرفًا ترتيب نزولها (٥٧) وهى سورة مكية [2] تعالج موضوعات عدة منها : العقيدة والوحدانية والنبوة والبعث .

أسباب نزولها :

قيل فى سبب نزولها أن قريشًا سألت عن قصة لقمان مع ابنه وعن بر والديه .[3] وروى أنها نزلت فى النضر بن الحارث ، وذلك أنه كان يخرج تاجرًا إلى فارس فيشترى أخبار الأعاجم فيرويها لقريش ويقول إن محمدًا – صلى الله عليه وسلم – يحدثكم بحديث عاد وثمود وأنا أحدثكم بحديث رستم واسفنديار وأخبار الأكاسرة فيستملحون حديثه ويتركون استماع القرآن ، وقال مجاهد : نزلت فى شراء القيان والمغنيات ، فقد روى أن النضر بن الحارث كان يشترى المغنيات ، وعندما يظفر بأحد الذين يريدون الإسلام ينطلق به إلى المغنية ، ويقول لها اطعميه واسقيه الخمر وغنيه ، فيقول له: هذا خير لك من الدين الجديد الذى يدعوك إليه محمد – صلى الله عليه وسلم – ما فيه من صلاة وصيام وقتال فأنزل الله تعالى قوله : (وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ...{٦})

لقمان :

اختلف فيه هل كان حرًا أو عبدًا أو نبيًا أو رجلاً صالحًا اختلافًا كبيرًا ، واختلف فى اسم ابنه كذلك ، وقيل كان ابنه وامرأته كافرين فما زال يعظهما حتى أسلما . وقيل كان من أولاد آزر عاش ألف سنة وأدرك داود – عليه السلام- وأخذ منه العلم ، وقيل كان قاضيًا فى بنى إسرائيل ، وقيل زمانه ما بين عيسى – عليه السلام- ومحمد – صلى

---

[1] - أبو حيان الأندلسي : البحر المحيط ١٨٣/٧ ، الألوسى : روح المعانى ٦٤/٣.

[2] - جاء عن ابن عباس – رضى الله عنهما- أنه قال : أنزلت سورة لقمان بمكة ولا استثناء فى هذه الرواية وفى رواية النحاس فى تاريخه عن ابن عباس استثناء ثلاث آيات منها وهى: (وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ .....) إلى تمام الثلاث فإنها نزلت بالمدينة ، وروى أنها مكية إلا آيتين هما (وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ...) إلى آخر الآيتين ، وقيل هى مكية إلا آية واحدة وهى:(الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُم بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ {٤}) الألوسى : روح المعانى ٢١ /٦٤.

[3] - أبو حيان الأندلسي : البحر المحيط ١٨٣/٧ ، الألوسى : روح المعانى ٢١ /٦٥.

الله عليه وسلم – والأكثرون على أنه ليس نبيًا.[1] ذكر أنه خُيِّر بين النبوة والحكمة فاختار الحكمة ، قال أحمد : ..... الحكمة داخلة فى النبوة وقطرة من بحرها وأعلى درجات الحكمة تنحط عن أدنى درجات الأنبياء بما لا يقدر قدره وليس من الحكمة اختيار الحكمة المجردة من النبوة .[2] وروى عن ابن عباس أنه كان عبدًا حبشيًا اختار الحكمة على النبوة فأعطاها الله له ، وروى أنه ابن أخت أيوب ، أو ابن خالته ، واختلف فى صناعته فقيل كان نجارًا وفى معانى الزجاج كان نجادًا وقيل كان خياطًا وقيل راعيًا وقيل كان يحتطب لمولاه .[3]

وقد ذكر أبو حيان فى لقمان رأيين :

الأول : أن لقمان اسم أعجمى ممنوع من الصرف للعلمية والعجمة .

الثانى : أن لقمان اسم عربى من اللقم مرتجلاً ممنوع من الصرف للعلمية وزيادة ألف

ونون .

## حروف الهجاء المقطعة فى أول السورة :

افتتحت السورة الكريمة بقوله تعالى (الم ...{١}) بحروف مقطعة شأنها فى ذلك شأن ثمان وعشرين سورة أخرى من سور القرآن الكريم[4] وقد جاء ترتيبها بين هذه السور التسع والعشرين التى افتتحت بحروف مقطعة السابعة عشرة سبقتها ست عشرة سورة وتلتها اثنتا عشرة سورة ، وهى من المفتتح بثلاثة أحرف وهى السور الأكثر عددًا بين السور التى افتتحت بهذه الحروف .[5] وقد ذكر صاحب البرهان أن ما ابتدئ بثلاثة أحرف فيه سر ، وشرح ذلك السر بقوله : " وذلك أن الألف إذا بدئ بها أولاً كانت همزة ، وهى أول المخارج من أقصى الصدر ، واللام من وسط مخارج

---

[1] - أبو حيان الأندلسي : البحر المحيط ١٨٦/٧.

[2] - الزمخشرى : الكشاف ٢٣١/٣.

[3] - أبو حيان الأندلسي : البحر المحيط ١٨٦/٧، السيوطى : معترك الأقران ٢٧١/٢.

[4] - اختلف العلماء اختلافا كبيرًا فى الحروف المقطعة التى جاءت فى أوائل بعض السور ، حيث رأى بعض العلماء أن علمها عند الله ، ورأى بعضهم فيها وجهًا من وجوه الإعجاز فى القرآن الكريم وذكر بعضهم أنها قسَم كما جاء عن الأخفش الأوسط الذى علل كونها قسمًا بقوله: إنما أقسم الله بهذه الحروف لشرفها وفضلها ، لأنها مبانى كتبه المنزلة ، ومبادئ أسمائه الحسنى وصفاته العليا وأصول كلام العرب ، بها يتعارفون ويذكرون الله تعالى ويوحدونه .

انظر البغوى: معالم التنزيل ٤٤/١ ، ابن قتيبة: تأويل مشكل القرآن ٢٣١، الرازى: مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير ٧/٢ ، البيضاوى: أنوار التنزيل وأسرار التأويل ١٣/١ ، كما روى الطبرى عن على بن أبى طلحة عن ابن عباس(الم) قسم أقسم الله به ، وهى أيضًا اسم من أسمائه وكذلك فى( المص) و( كهيعص) وغيرهما. الطبرى : جامع البيان فى تفسير القرآن ٦٧/١، القرطبى: الجامع لأحكام القرآن ١٦٦/١١،ابن كثير: تفسير القرآن العظيم ٣٦/١، السيوطى: الإتقان ١١/٢ .

[5] - ثلاث سور افتتحت بحرف واحد وهى: ص ، ق ، ن .

وعشر سور افتتحت بحرفين: طه ، طس ، يس ، حم .

واثنتا عشرة افتتحت بثلاثة أحرف: الم ، الر ، طسم .

اثنتان بأربعة أحرف: المص ، المر .

اثنتان بخمسة أحرف : كهيعص ، حمعسق .

الحروف وهى أشد الحروف اعتمادًا على اللسان ، والميم آخر الحروف ومخرجها من الفم ، وهذه الثلاثة هى أصل مخارج الحروف ؛ أعنى الحلق واللسان والشفتين والترتيب فى التنزيل من البداية إلى الوسط إلى النهاية ." [1]

وقد رأى الباقلانى وتابعه فى ذلك الزمخشرى فى هذه الحروف إعجازًا فى كونها وعددها أربعة عشر حرفًا فيها نصف الأصوات المهموسة ونصف المجهورة ونصف الشديدة ونصف الرخوة ونصف المطبقة ونصف المنفتحة ونصف المستعلية ونصف المنخفضة ونصف حروف القلقلة . وخالفه الشوكانى فى هذا الرأى ، وعاب عليه حيث رأى أن التدقيق فى هذا الأمر لا يأتى بفائدة يعتد بها .[2] وقد جمع الزركشى اختلاف الناس فى الحروف المقطعة فى أوائل السور على قولين :

أحدهما : أن هذا علم مستور ، وسر محجوب استأثر الله به . ولهذا قال الصديق – رضى الله عنه – فى كل كتاب سر ، وسره فى القرآن أوائل السور ، قال الشعبى : إنها من المتشابه ، نؤمن بظاهرها ونكل العلم فيها إلى الله عز وجل . وقال الإمام الرازى: وقد أنكر المتكلمون هذا القول وقالوا : لا يجوز أن يرد فى كتاب الله ما لا يفهمه الخلق، لأن الله تعالى أمر بتدبره والاستنباط منه، وذلك لا يمكن إلا مع الإحاطة بمعناه .

القول الثانى : أن المراد منها معلوم ، وذكروا فيه ما يزيد على عشرين وجهًا ؛ منها البعيد ومنها القريب.[3] والدكتور صبحى الصالح لا يرى فى الأمر أكثر من مصادفة، فما كان ليخطر على بال السلف الصالح إلا أن الفواتح نظمت فى القرآن على هذا النمط منذ الأزل ، لتحتوى على كل ما من شأنه إعجاز البشر عن الإتيان بمثل هذا الكتاب ولو كان بعضهم لبعض ظهيرًا . [4]

## التماسك النصى فى سورة لقمان :

---

[1] - الزركشى: البرهان ١٦٨/١ . أما رأى الزمخشرى فإنك إذا تأملت الحروف التى افتتح الله بها السور وجدتها نصف أسامى حروف المعجم أى أربعة عشر حرفًا وهى : الألف ، واللام ، والميم ، والصاد ، والراء ، والكاف ، والهاء ، والياء ، والعين ، والطاء ، والسين ، والخاء ، والقاف ، والنون. جاءت فى = =تسعة وعشرين موضعًا أى ما يساوى عدد حروف المعجم ، ثم تجدها مشتملة على أصناف أجناس الحروف : المهموسة والمجهورة والشديدة والمطبقة والمستعلية والمنخفضة وحروف القلقلة ، ثم إذا استقريت الكلام تجد هذه الحروف هى أكثر دورانًا مما بقى ودليله أن الألف واللام لما كانت أكثر تداورًا جاءت فى معظم هذه الفواتح .الزمخشرى : الكشاف ١٣/١-١٤ . وقد نقل الزركشى قول القاضى أبى بكر : إنما جاءت على نصف حروف المعجم كأنه قيل : من زعم أن القرآن ليس بآية فليأخذ الشطر الباقى ، ويركّب منه لفظًا معارضة للقرآن . الزركشى : البرهان ١٦٧/١ . ولمزيد من التفاصيل عن الحروف المقطعة فى أوائل السور انظر: فواتح سور القرآن للدكتور: حسين نصار القسم الأول : الفواتح الحرفية ص ١١- ١٨٤.

[2] - الزمخشرى : الكشاف ١٠١/١ ، الشوكانى : فتح القدير الجامع بين فنى الرواية والدراية من علم التفسير ٣٠/١ .

[3] - انظر تفصيل هذا والعشرين وجهًا فى البرهان ١٧٣/١- ١٧٧.

[4] - د. صبحى الصالح : مباحث فى علوم القرآن ص ٢٣٦.

إن ما يعرفه علم اللغة اليوم باسم التماسك النصى هو ما درسه المفسرون الأوائل تحت عنوان "المناسبة" وتعنى: " جعل أجزاء الكلام بعضها آخذًا بأعناق بعض ، فيقوى بذلك الارتباط ، ويصير التأليف حاله حال البناء المحكم المتلائم الأجزاء ." [1]

" وقد قل اعتناء المفسرين بهذا النوع لدقته ، وممن أكثر منه الإمام فخر الدين الرازى ، وقال فى تفسيره : أكثر لطائف القرآن مودعة فى الترتيبات والروابط " [2] فهو علم خفى ، دروبه ليست سهلة ، يحتاج من المفسر إلى دربة ومران وفطنة وذكاء . وقد جعل أبو الإصبع (ت ٦٥٤هـ) المناسبة على ضربين : مناسبة فى المعانى ، ومناسبة فى الألفاظ .

مناسبة المعانى هى: أن يبتدئ المتكلم بمعنى ثم يتمم كلامه بما يناسبه معنى دون لفظ كقوله تعالى:(لا تُدْرِكه الأبْصَارُ وَهو يُدْرِكُ الأبْصَارَ وَهو اللطِيفُ الخَبِير) " الأنعام :١٠٣" فإنه سبحانه لما قدم نفى إدراك الأبصار له عطف على ذلك قوله : ( وهو اللطيف الخبير) خطابًا للسامع بما يفهم ؛ إذ معترف العادة أن كل لطيف لا تدركه الأبصار ، ولما قال :( وهو يدرك الأبصار) عطف على ذلك قوله:(الخبير) لأن كل من أدرك شيئًا كان خبيرًا بذلك الشيء. [3]

إن الذى نشير إليه هنا هو ما يُعرف فى الدراسات اللغوية بمفهوم "الحبك"Coherence وقد عرفه القدماء من المفسرين والبلاغيين وعرفوا غيره من المصطلحات التى تناظره فى المعنى مثل : ائتلاحم والائتلاف والملاءمة والمناسبة والتناسب والمجانسة والمزج أو الامتزاج والالتحام والتعلق والاتساق والاشتباه والمطابقة والمشاكلة والمؤاخاة . والشعراء كانوا يتفاخرون فيما بينهم فى هذا الباب ، من ذلك ما ذكره الجاحظ عن عمر بن لجأ أنه تفاخر على غيره من الشعراء قائلاً له :"أنا أقول البيت وأخاه وأنت تقول البيت وابن عمه "[4]

إن تخير الألفاظ وإبدال بعضها من بعض يوجب التئام الكلام وهو من أحسن نعوته وأزين صفاته.[5] وفى سياق التعليق على بعض أبيات من الشعر يقول أبو هلال : " وينبغى أن تجعل كلامك مشتبهًا أوله بآخره ، ومطابقًا هاديه لعجزه ، ولا تتخالف أطرافه ، ولا تتنافر أطراره ، وتكون الكلمة منه موضوعة مع أختها ، ومقرونة بلفقتها ، فإن تنافر الألفاظ من أكبر عيوب الكلام ...." [6] وهو ما عبر عنه أسامة بن منقذ بقوله :" خير الكلام المحبوك المسبوك الذى يأخذ بعضه برقاب بعض " [7]

---

[1] - الزركشى : البرهان ٣٦/١ ، السيوطى : الإتقان ٣٧١/٣.
[2] - الزركشى : البرهان ٣٦/١.
[3] - أبو الإصبع المصرى : تحرير التحبير ، تحقيق: د. حفنى محمد شرف ٣٦٣/٣.
[4] - الجاحظ : البيان والتبيين ، تحقيق عبد السلام هارون ٢٠٦/١.
[5] - أبو هلال العسكرى : الصناعتين ص ٥٩.
[6] - السابق ص ١٦٠ .
[7] - أسامة بن منقذ : البديع فى نقد الشعر ، تحقيق : د.أحمد بدوى ، د. حامد عبد المجيد ص١٦٣.

" فلا نظم فى الكلم ، ولا ترتيب حتى يعلق بعضها ببعض ، ويُبنى بعضها على بعض وتجعل هذه بسبب من تلك ، وهذا ما لا يجهله عاقل ، ولا يخفى على أحد من الناس " [1]

هذا قول عبد القاهر في دلائل الإعجاز ، أما فى أسرار البلاغة فيقول :" الألفاظ لا تفيد حتى تؤلف ضربًا خاصًا من التأليف ، ويعمد بها إلى وجه من التركيب والترتيب " [2]

وقد ذكر الآمدى أنه " إذا جاء لطيف المعانى فى غير ملاءمة ولا سبك جيد ولا لفظ حسن ، كان ذلك مثل الطراز الجديد على الثوب الخلق ، أو نقث العبير على خد الجارية القبيحة الوجه " [3]

والحبك فى جوهره تنظيم مضمون النص تنظيمًا دلاليًا منطقيًا ، وتسلسل المعانى والمفاهيم والقضايا على نحو منطقى مترابط هو أس حبك النص ، والنص الذى يوصف

بأنه لا معنى له ، هو النص الذى لا يستطيع مستقبلوه أن يعثروا فيه على مثل هذا التسلسل . [4]

ويمكن القول إن الحبك هو قوانين بناء النصوص بناءً محكمًا يجعل النص منظومة من الألفاظ والجمل تأتى فى تسلسل وتدرج منطقيين حاملة معانى وتصورات وأفكارًا ومفاهيم فى غير توتر أو توقف أو انقطاع أو انفصال بين المفاهيم والتصورات والأفكار التى تحاول أن تقولها وبين ما تقوله بالفعل . هذا هو مفهوم الحبك عند منشئ النص ، أما عند المتلقى للنص فهو قوانين تفكيك النصوص واستخلاص حقيقتها وتحصيل فائدتها التى سعى المنشئ إلى إنجازها . والسبك والحبك من المعايير السبعة التى ذكرها دى بوجراند التى يتحقق بها تماسك النص وهما " يشيران إلى كيفية تكيف العناصر التى تكون النص بعضها مع بعض وصنع المعنى " [5]

إن من الخطأ أن نظن أنه لكى نفهم مضمون رسالة لغوية أننا نعتمد فقط على الكلمات والجمل والعبارات التى صيغت منها الرسالة ؛ بل نحتاج لكثير من المعلومات لفهم ذلك المضمون فهمًا صحيحًا ؛ فالقارئ يحتاج إلى كثير من المعلومات حول الطريقة التى صيغت بها الرسالة ، والتماسك اللفظى والمعنوى لبنيتها اللغوية ، والسياق بشقيه ؛ المقالى والمقامى ، والقياس على مواقف لغوية سابقة ، إلى غير ذلك من مكونات النص اللغوية وغير اللغوية .

والتماسك النصى الذى يسميه المفسرون علم المناسبة وهو ارتباط آى القرآن الكريم بعضها ببعض حتى تكون كالكلمة الواحدة متسقة المعانى ، منتظمة المبانى ، جعله العلماء من محاسن الكلام فقال الزركشى: من محاسن الكلام ارتباط بعضه ببعض

---

[1] - عبد القاهر الجرجانى : دلائل الإعجاز ٣٧٠.

[2] - عبد القاهر الجرجانى : أسرار البلاغة ص٣.

[3] - الآمدى : الموازنة بين أبى تمام والبحترى ، تحقيق : محمد محيى الدين عبد الحميد ص ٣٨١.

[4] - د. محمد العبد : النص والخطاب والاتصال ص ٩٢.

[5] - السابق ص ٩٠.

لئلا يكون منقطعا.[1] ومن أكثر العلماء اعتناءً بالمناسبة – كما سبق أن أشرت - الإمام فخر الدين الرازى وقال ابن العربى فى سراج المريدين : "ارتباط آى القرآن بعضها ببعض حتى تكون كالكلمة الواحدة متسقة المعانى منتظمة المبانى علم عظيم " [2] والقرآن الكريم كما هو معجز بفصاحته وسمو معانيه ومقاصده معجز أيضًا فى نظمه وترتيب سوره وآياته ، فهو نسيج محكم البناء متلاحم الأطراف ، وسورة لقمان جزء من هذا النسيج النصى المحكم .

وباب المناسبة باب واسع تُدرس تحت عباءته القضايا الآتية :

١- مناسبة اسم (عنوان) السورة لمضمونها .
٢- مناسبة افتتاح السورة لمضمونها .
٣- مناسبة افتتاح السورة لخاتمة ما قبلها .
٤- مناسبة افتتاح السورة لخاتمتها .
٥- مناسبة خاتمة السورة لافتتاح ما بعدها .
٦- مناسبة افتتاح السورة لافتتاح ما قبلها وما بعدها .
٧- مناسبة خاتمة السورة لخاتمة ما قبلها وما بعدها .
٨- مناسبة مضمون السورة لمضمون ما قبلها وما بعدها ..
٩- مناسبة ترتيب آيات السورة .
١٠- مناسبة فواصل الآى لآياتها .

هذه القضايا تمثل جوهر التماسك النصى فى القرآن الكريم ، وإذا كانت مهمة علم النص تتمثل فى وصف العلاقات الداخلية والخارجية للأبنية النصية بمستوياتها المختلفة [3] فإن كل أنواع المناسبات السابقة تشرح العلاقات الداخلية والخارجية للنصوص القرآنية لذلك لم اعتمد فى هذا البحث على معايير النظرية النصية الغربية ، وإنما جعلت " المناسبة" هى الركيزة الأساسية للتماسك النصى كما ذهب إلى ذلك علماء الدراسات القرآنية . وقد جعل السيوطى المناسبة بين ترتيب سور القرآن الكريم علمًا أفرد له مؤلفًا مهمًا وهو كتاب " تناسق الدرر فى تناسب السور " عرض فيه لأسس ترتيب السور فى المصحف ، ومذهبه- وهو رأى الجمهور- أن ترتيب السور توقيفى ما عدا سورتى " الأنفال وبراءة" [4] وفى هذا الكتاب حدد السيوطى " وجوه التناسب "التى جعلها أسس القول ومعاييره بوجود ترابط بين سورة وأخرى ، وصنف العلاقات التى على أساسها تترابط السور فى عشرة أنواع من العلاقات هى :

١- تفصيل المجمل : كل سورة هى تفصيل لإجمال سابقتها ؛ فسورة البقرة فصلت جميع ما أجملته سورة الفاتحة ، وسورة آل عمران شرح لإجمال ما فى البقرة.
٢- التلازم والاتحاد : وذلك عندما تكون خاتمة السورة الثانية مناسبة لفاتحة الأولى من باب الاتحاد .

---

[1] - الزركشى : البرهان فى علوم القرآن ٣٦/١ ، السيوطى : الإتقان فى علوم القرآن ٣٦٩/٢.
[2] - السيوطى : الإتقان ١٠٨/٢ .
[3] - د. صلاح فضل : بلاغة الخطاب وعلم النص ص٢٤٧.
[4] - السيوطى : تناسق الدرر فى تناسب السور ص ٦٠.

٣- تشابه الأطراف : وقد جعله السيوطى من أكبر وجوه المناسبات فى ترتيب السور وهو نوع من البديع ويقصد به اشتراك فاتحة السورة مع خاتمة ما قبلها .
٤- المقابلة .
٥- المقارنة .
٦- الملابسة .
٧- التحقيق : وذلك عندما يقع فى أول السورة قسم على تحقيق ما جاء فى سابقتها .
٨- بيان العلة .
٩- الإتمام والعطف .
١٠-وصف الإطار الزمنى كما فى سورتى البينة والزلزلة.[1]

. وقد ركزت البحث على ما تحقق من هذه العلاقات فى سورة لقمان التى توسطت بين سورتى الروم والسجدة وعلى بيان وجوه المناسبة التى تربطها بما قبلها وما بعدها وتربطها باسمها وتربط فاتحتها بمضمونها وبخاتمتها وترتيبها بين السور وترتيب آياتها ومناسبة فواصل الآى لآياتها إلى غير ذلك من أسباب التماسك النصى فى هذه السورة .

## أولاً : مناسبة اسم السورة لمضمونها :

الاسم أو العنوان هنا يشير إلى مضمون السورة ؛ حيث تضمنت قصة لقمان مع ابنه وهو ذلك الرجل الحكيم الذى يبغى إرشاد ابنه وهدايته إلى طريق الصلاح ومكارم الأخلاق كما يراها هو بحكمته وبصيرته التى من الله بها عليه ، وسورة لقمان هى السورة الوحيدة فى القرآن الكريم التى حملت اسم شخص( رجل) اسمًا لها الأرجح فيه أنه ليس نبيًا إلى جانب سورة أخرى وحيدة حملت اسم (امرأة ) اسمًا لها وهى سورة مريم ، أما بقية السور التى عنونت بأسماء شخصيات فجميعهم من الرسل والأنبياء- صلوات الله عليهم أجمعين- مثل: محمد، نوح، إبراهيم، يوسف، يونس، هود.

هذا العنوان يجلى كثيرًا من الدلالات المركزية والأساسية للنص ؛ فالعنوان هو أشد عناصر النص بروزًا لأنه العنصر الموجه لدلالة النص ، حيث استخدم اسم الشخصية المحورية التى تتمركز حولها أحداث السورة (النص)، وقد اشتملت السورة على عدة أمور أخرى من أشهرها قصة لقمان ، وهذا المسلك قد سلكه الأدباء وكتاب الرواية والمسرحية وغيرها من الفنون الأدبية حيث عنونوا أعمالهم الأدبية بأسماء شخصياتها الرئيسية .

## ثانيًا : مناسبة افتتاح السورة لمضمونها :

[1] - السابق ص ٧٠ وما بعدها .

بدأت السورة بقوله تعالى:(الم{١} تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ{٢} هُدًى وَرَحْمَةً لِّلْمُحْسِنِينَ{٣} الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ.....) لما جاء فى مطلع السورة الحديث عن المحسنين وصفاتهم ، تضمنت السورة الحديث عن الصنف الآخر وصفاتهم بدأ بقوله تعالى:( وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ{٦} ) ثم تواصل السورة استكمال صفات هذا الفريق فى قوله تعالى: (وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا وَلَّى مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِي أُذُنَيْهِ وَقْرًا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ{٧}) وقوله تعالى: (فَبَشِّرْهُ) تهكم يناسب إعراضهم ويليق بتكبرهم ، ثم تعود السورة إلى تفصيل ما أجملته فى مطلعها عن جزاء المؤمنين فى قوله تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتُ النَّعِيمِ{٨} خَالِدِينَ فِيهَا وَعْدَ اللَّهِ حَقًّا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ{٩}) وكما وصفت السورة فى مستهلها آيات الله بالحكمة فإن مضمون السورة يركز على حكمة لقمان وإحسانه فى وعظ ابنه ورحمته البالغة به وحرصه الشديد على هدايته وإخلاصه العبادة لله الواحد الأحد وعدم الشرك به والإحسان إلى الوالدين وحسن صحبتهما وإقامة الصلاة والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر والصبر على المكاره إلى آخر هذه الوصايا النافعة وهى من باب رحمة الوالد بولده وحرصه على هدايته وإن كان أثر هذه الوصايا النافعة يمتد ليشمل الناس جميعًا لذلك تضمنت السورة فى مطلعها ذكر الهدى والرحمة ، ولما تضمنت الوصايا الأمر بالمحافظة على الصلاة جاء فى مطلع السورة بيان ثواب المحافظين على الصلاة ، وهكذا تمضى آيات السورة فى عرض قضيتها وهى قضية " العقيدة" التى تتلخص فى توحيد الخالق وعبادته والإيمان بما جاء فى كتابه ، واليقين بالآخرة وما فيها من ثواب وعقاب وتدبر الكون ، الذى ينطق بقدرة الله ووحدانيته وهى فى كل ذلك منسجمة مع ما افتتحت به

## ثالثًا : مناسبة افتتاح السورة لخاتمة ما قبلها :

من أسرار القرآن الكريم مناسبة فاتحة السورة لخاتمة التى قبلها وتعلقها بها سواء أكان ذلك ظاهرًا جليًا أم كان خفيًا دقيقًا يحتاج إلى تأمل ونظر ومما ذكره المفسرون [1] عن علاقتها بخاتمة التى قبلها وهى سورة "الروم" أنه قال تعالى فى خاتمة سورة الروم :(وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ... {٥٨}) وأشار إلى ذلك فى مطلع لقمان بقوله: ( الم{١} تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ{٢}) وقال فى الروم من نفس الآية :(وَلَئِن جِئْتَهُم بِآيَةٍ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ أَنتُمْ إِلَّا مُبْطِلُونَ{٥٨}).وجاء فى أول لقمان:(وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا وَلَّى مُسْتَكْبِراً.. {٧}) فالكلام فى خاتمة الروم ومطلع لقمان متعلق بموضوع واحد وهو القرآن الكريم وشمول آياته وإحكامها وجحود الكافرين بها وإنكارهم لها وإعراضهم عنها إلى لهو الحديث وباطله مستهزئين بها ثم المصير الذى ينتظرهم من الله تعالى فيطبع على قلوب الذين كفروا بها وصدوا عنها وهو ما جاء فى الروم ويتوعد المعرضين المستهزئين الذين أنفقوا أموالهم لصرف الناس عن تدبر آيات الله بالعذاب المهين يوم القيامة وهو ما جاء فى لقمان .

[1] - أبو حيان الأندلسى : البحر المحيط ١٨٣/٧ ، الألوسى : روح المعانى ٢١/ ٦٥ .

## رابعًا : مناسبة افتتاح السورة لخاتمتها :

الكلام فى افتتاح السورة عن فريقين من الناس كل على حدة ؛ بدأ بالمحسنين الذين أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأيقنوا بالآخرة والثواب الذى ينتظرهم يوم القيامة ، ثم ثنّى بالجاحدين المعرضين عن كتاب الله والعقاب الذى ينتظرهم يوم القيامة ، لأن الموضوع العام لهذه السورة هو"العقيدة" شأنها فى هذا شأن القرآن المكى كله ، لذلك تعرضت آياتها لأصول العقيدة وهى : الوحدانية ، والنبوة ، والبعث والحساب ، فكان خطاب المؤمنين خطابًا خاصًا كما كان خطاب الكافرين خاصًا أيضًا ، حيث إنها تلفت أنظارهم إلى دلائل القدرة والوحدانية فى هذا الكون ؛ فى سمائه وأرضه ودوابه ومطره وشمسه وقمره وليله ونهاره إلى غير ذلك من النعم الظاهرة والباطنة ، ولما كانت هذه النعم عامة لكل البشر من المؤمنين والكافرين ولم يخص الله بها قومًا دون غيرهم ، وإنما جعلها متاحة لجميع خلقه نعموا بها ولم يؤدوا حق شكرها ، كان الخطاب فى ختام السورة خطابًا عامًا للناس أجمعين دون تصنيف - كما فى مفتتح السورة - فقال تعالى: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ وَاخْشَوْا يَوْمًا لَا يَجْزِي وَالِدٌ عَن وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِ شَيْئًا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ{٣٣}) محذرًا الناس من أهوال يوم القيامة حيث لا ينفع فيه مال ولا بنون ؛ كما أن السورة بدأت بوصف آيات الله وكتابه بالحكمة ، ثم وصفت لقمان بالحكمة لأنه أدرك سبب خلقه فى هذا الكون واستثمر حكمته فى خلاص نفسه ونصح ابنه ، وتختم بمصير هؤلاء الذين تجردوا من الحكمة لذلك سوف تحيط بهم أهوال يوم القيامة فهم لقلة حكمتهم غرتهم الحياة الدنيا بملذاتها وشهواتها الزائلة وألهتهم عن سبب وجودهم فيها وهو عبادة الله وحده . وقد لخصت السورة قضية العقيدة فى آخر آياتها عندما أسندت مفاتيح الغيب الخمسة إلى الله وحده دون شريك .

## خامسًا : مناسبة خاتمة السورة لافتتاح ما بعدها :

إن سورة السجدة تستكمل مع سورة لقمان موضوع العقيدة ، فهى أيضًا من القرآن المكى ،(*) فما ذكر فى آخر لقمان هو مفاتيح الغيب الخمسة التى لا يعلمها إلا الله - سبحانه وتعالى – وهى:

١- عنده علم الساعة .
٢- ينزل الغيث .
٣- يعلم ما فى الأرحام .
٤- لا يعلم الرزق إلا هو .
٥- لا يعلم أجل الإنسان إلا هو .

---

(*)عن ابن عباس أنها نزلت بمكة ، وجاء فى رواية أخرى عنه استثناء أنه قال: نزلت سورة السجدة بمكة سوى ثلاث آيات من قوله تعالى:(أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا لَّا يَسْتَوُونَ{١٨} ....) إلى تمام الثلاث . الآلوسى : روح المعانى ١١٥/٢١.

وقد تضمنها قوله تعالى:(إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ{٣٤} ) وهى من أدلة وحدانيته .

وإذا كانت سورة لقمان قد تناولت دلائل التوحيد منذ بدأ الخلق وهو الأصل الأول ثم ذكرت المعاد والمحشر وهو الأصل الثانى الذى ختمت به السورة، ذكر فى افتتاح السجدة الأصل الثالث وهو تبيين الرسالة والكتاب والقرآن .[1] ودفع الارتياب والشك عن القرآن الكريم وتكذيب المشركين فى دعواهم أن الرسول – صلى الله عليه وسلم – افتراه واختلقه من عند نفسه ، فجاءت السورة لترد هذا الادعاء والبهتان عن معجزة الرسول – صلى الله عليه وسلم – الخالدة وهى القرآن الكريم الذى نزل عليه من رب العالمين .

## سادسًا: مناسبة افتتاح السورة لافتتاح ما قبلها وما بعدها :

افتتح الله – سبحانه وتعالى – السور الثلاث:الروم ولقمان والسجدة بحروف مقطعة متطابقة وهى"الم" جاء بعد هذه الحروف فى الروم إخبار القرآن عن حدث تاريخى مهم سوف يحدث وهو انتصار الروم على الفرس ، وحدث ذلك فعلاً كما نبأ القرآن به مما يدل على أن القرآن الكريم من عند الله وأن الرسول – صلى الله عليه وسلم – صادق فيما يخبر به عن ربه ، أما فى لقمان فقد جاء بعد هذه الحروف ذكر القرآن الكريم أيضًا ووصف آياته بالحكمة وأنها هدى ورحمة للذين آمنوا بها وصدقوها كما توعد بها من يضلون عنها وينصرفون إلى لهو الحديث والأساطير التى يرددونها ويلهون الناس بها استكبارًا واستهزاءً بآيات القرآن الكريم فاستحقوا أن يبشرهم القرآن بالعذاب المهين . وكذلك الحال فى السجدة فالكلام بعدها عن القرآن الكريم قال تعالى:(الم{١} تَنزِيلُ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ الْعَالَمِينَ{٢} أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ الْحَقُّ ....) بدأت الآيات بدفع الريب والشك عن القرآن الكريم الذى نزل به الروح الأمين من عند رب العالمين ، ثم تدفع قول الكفار وادعاءهم بأن محمدًا – صلى الله عليه وسلم – افتراه من عند نفسه .

هكذا تشابهت مطالع السور المتتالية مما يحقق التماسك والانسجام بين هذه القطع الثلاث المتجاورة ، فتصبح نسيجًا واحدًا متلاحم الأجزاء ، فهى ليست قطعًا متراصة بطريقة أفقية تربطها علاقة مجاورة مكانية فحسب ، إنما هى بناء واحد تضافرت لبناته من أجل تكامل المعنى .

## سابعًا: مناسبة خاتمة السورة لخاتمة ما قبلها وما بعدها :

ختمت سورة الروم بالحديث عن يوم القيامة ومصير الكفار الذين يشعرون فى هذا اليوم أنهم لم يمكثوا فى الدنيا غير ساعة مقارنة بطول عذابهم فى هذا اليوم واستحقاقهم لهذا المصير ، ومواجهة المؤمنين لهم لإنكارهم يوم البعث وتقريعهم بأنهم

[1] - أبو حيان الأندلسى : البحر المحيط ١٩٦/٧.

لا عذر لهم لما جاءهم فى الدنيا من المواعظ والقصص والأخبار والعبر ، لكنهم استحبوا العمى على الهدى فطبع الله على قلوبهم وذلك فى قوله تعالى: (وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ كَذَلِكَ كَانُوا يُؤْفَكُونَ{٥٥} وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَالْإِيمَانَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِلَى يَوْمِ الْبَعْثِ فَهَذَا يَوْمُ الْبَعْثِ وَلَكِنَّكُمْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ{٥٦} فَيَوْمَئِذٍ لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَعْذِرَتُهُمْ وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ{٥٧} وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ وَلَئِن جِئْتَهُم بِآيَةٍ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا مُبْطِلُونَ{٥٨} كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ{٥٩} فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ{٦٠}) .

كذلك ختمت سورة لقمان بالحديث عن يوم القيامة فى خطاب عام للناس جميعًا بأن يعدوا أنفسهم لهذا اليوم الذى لا ينفع فيه إلا العمل الصالح ، حيث يتخلى عنه الجميع ليواجه مصيره مع الله تعالى ؛ فلا الوالد يغنى عن ولده شيئًا ولا الولد ، لكل منهم فى هذا اليوم شأن يغنيه ، كما تضمن ختام السورة تحذيرًا للناس أن يغتروا بالدنيا وتلهيهم عن يوم القيامة ، وتذكيرًا لهم بالغيبيات التى اختص الله - سبحانه وتعالى - بها نفسه وأمرنا أن نؤمن بها وذلك فى قوله تعالى فى آخر لقمان:(يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ وَاخْشَوْا يَوْمًا لَا يَجْزِي وَالِدٌ عَن وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِ شَيْئًا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ{٣٣} إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ{٣٤} ) .

لم يختلف الموضوع فى ختام السجدة ، فقد تناولت الموضوع نفسه وهو يوم القيامة بعد الحديث عن بنى إسرائيل، وسماه يوم الفصل، ثم سماه يوم الفتح، وفيه لا ينفع الذين كفروا إيمانهم ولا تأجيل لحسابهم حتى يؤمنوا بما كفروا به فى الدنيا، فى قوله تعالى:(إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ{٢٥} أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَاكِنِهِمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ أَفَلَا يَسْمَعُونَ{٢٦} أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَامُهُمْ وَأَنفُسُهُمْ أَفَلَا يُبْصِرُونَ{٢٧} وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا الْفَتْحُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ{٢٨} قُلْ يَوْمَ الْفَتْحِ لَا يَنفَعُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِيمَانُهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ{٢٩} فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَانتَظِرْ إِنَّهُم مُّنتَظِرُونَ{٣٠} ).

مما سبق ندرك أن خواتيم السور الثلاث متحدة فى الموضوع ، مما حقق تجانسًا دلاليًا بين نهايات النصوص الثلاث ، فترتيبها على هذا النحو فى المصحف مقصود لتحقيق وحدة دلالية محكمة ، حيث بدت نهايات النصوص وكأنها لقطات تصويرية متنوعة بعدسة واحدة لحدث واحد وهو يوم القيامة ، اختصت كل نهاية منها بجانب من هذا الحدث .

## ثامنًا: مناسبة مضمون السورة لمضمون ما قبلها وما بعدها :

رأى السيوطى فى اتصال لقمان بما قبلها مع المؤاخاة فى الافتتاح بـ"الم" ، أن قوله تعالى فى لقمان : (هُدًى وَرَحْمَةً لِّلْمُحْسِنِينَ{٣}) متعلق بقوله تعالى فى الروم:

(وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَالْإِيمَانَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِلَى يَوْمِ الْبَعْثِ .....{٥٦}) فهذا عن يقينهم بالآخرة وهم المحسنون الموصوفون بما ذكر .
وفي الروم قال تعالى:(فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ{١٥}) هذا مصير الذين آمنوا بالقرآن فى الآخرة يسمعون ما لذّ لهم سماعه .
وفى لقمان قال تعالى: (وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ{٦}) هنا مقابلة بين مصيرين؛ فى الروم مصير الذين آمنوا بالقرآن الكريم وعملوا بما جاء فيه، وفى لقمان مصير الذين انصرفوا عنه إلى لهو الحديث والغناء وآلات الملاهى، فهذه مقابلة واضحة، جاء فى الروم: (وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ .....{٢٧})، وفى لقمان آية أخرى تؤكد سهولة الخلق على الله تعالى حيث يقول: (مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ{٢٨}) فالآية الثانية توكيد لمعنى الأولى .
ومن المناسبة بين مضمون السورتين ؛ الروم ولقمان المفارقة الواضحة بين موضوع السورتين كما يتضح من أسمائهما ؛ فسورة الروم تحكى حدثين أحدهما وقع بالفعل وهو غلبة الفرس على الروم والآخر لم يقع بعد فنبأ القرآن بوقوعه وهو غلبة الروم على الفرس ، وهى حرب دنيوية بين ملكين عظيمين يتحاربان على أمور الدنيا فخرجا بذلك عن مقتضى الحكمة ، فإن الحكيم لا يحارب على دنيا دنيّة لا تعدل عند الله جناح بعوضة ، أما سورة لقمان فقد تضمنت قصة عبد مملوك -على كثير من الأقوال- حكيم زاهد فى الدنيا غير مكترث بها ولا ملتفت إليها أوصى ابنه بما يأبى المحاربة ويقتضى الصبر والمسالمة ، وبين الأمرين من التقابل ما لا يخفى .[1]
أما مناسبة مضمون السجدة لمضمون لقمان ، فالسجدة هى أيضًا سورة مكية وقد تضمنت سورة لقمان دلائل التوحيد من بدء الخلق وهو الأصل الأول ثم ذكر المعاد والحشر وهو الأصل الثانى الذى ختمت به السورة وشرح فى السورة التى تليها " السجدة " الأصل الثالث وهو تبيين الرسالة والكتاب وهو القرآن الكريم .[2] وقد شرحت هذه السورة كثيرًا من دلائل القدرة والوحدانية من خلق السموات والأرض والاستواء على العرش وعلم الغيب وخلق الإنسان ونفخ الروح وخلق النبات والحيوان وإنزال المطر وغيرها من مظاهر قدرة الله ووحدانيته .
وقد ذكر السيوطى فى وجه اتصالها بما قبلها: أنها شرح لمفاتح الغيب الخمسة التى ذكرت فى خاتمة لقمان ، ثم ذكر آيات لقمان وما يشرحها من آيات السجدة .[3]

## تاسعًا : مناسبة ترتيب آيات السورة :

ارتباط آيات السورة بعضها ببعض - كما سيأتى- يؤكد تضافرها فى أداء المعنى القرآنى للسورة كلها ، وقد شرح المفسرون مظاهر ذلك الارتباط ، وهو إما أن يكون ارتباطًا ظاهرًا وذلك نتيجة للآتى:

---

[1] - الآلوسى : روح المعانى ٦٥/٢١.
[2] - أبو حيان : البحر المحيط ١٩٦/٧ ، الآلوسى : روح المعانى ١١٥/٢١.
[3] - انظر السيوطى : الإتقان ١٠٨/٢ - ١٠٩.

- تعلق الكلام بعضه ببعض وعدم تمامه بالآية الأولى .
- أو تكون الثانية للأولى تأكيدًا أو تفسيرًا أو اعتراضًا أو تشديدًا أو بدلًا.

وإما أن يكون الارتباط غير ظاهر، حيث يظهر أن كل جملة مستقلة عن الأخرى ، وأنها خلاف المبدوء بها وهى : إما أن تكون معطوفة ولابد أن تكون بينهما جهة جامعة ؛ والعلاقة بينهما قد تكون علاقة المضادة كمناسبة ذكر الرحمة بعد العذاب والرغبة بعد الرهبة . " وعادة القرآن العظيم إذا ذكر أحكامًا ذكر بعدها وعدًا ووعيدًا ليكون ذلك باعثًا على العمل بما سبق ، ثم يذكر آيات التوحيد والتنزيه ، ليُعلم عِظم الآمر والناهى.[1] أو ألا تكون معطوفة ، ولابد هنا من دعامة تؤذن باتصال الكلام وهى قرائن معنوية مؤذنة بالربط، ، والعطف مزج لفظى ، وهذا مزج معنوى ؛ حيث تنزل الثانية من الأولى منزلة جزئها الثانى وله أسباب ومنه : التنظير والمضادة والاستطراد .[2]

فإذا نظرنا إلى ترتيب الآيات فى لقمان نجد الآتى :

- بدأت السورة – بعد الحروف المقطعة- بوصف الكتاب بالحكمة ، وهو حسن استهلال ، لأن السورة كلها تعلى من قيمة فضيلة الحكمة التى وصف بها لقمان .
- ثم قال تعالى: (هُدًى وَرَحْمَةً لِّلْمُحْسِنِينَ{٣}) وعلاقتها بسابقتها علاقة العلة بالمعلول ؛ ولو قلنا : لماذا أنزل الله الكتاب ؟ لقيل : هدى ورحمة للمحسنين ، وقدم الهداية على الرحمة لأن الهداية فى الدنيا والرحمة من العذاب فى الآخرة ؛ فالأولى سبب للثانية .
- الآيتان: (الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُم بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ{٤} أُولَٰئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ{٥}) تشرحان صفات هؤلاء المحسنين .
- الآيتان: (وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ{٦} وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ آيَاتُنَا وَلَّىٰ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِي أُذُنَيْهِ وَقْرًا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ{٧}) تشرحان صفات الصنف الآخر من البشر وختمت بما استحقوا من عذاب فى الآخرة .
- ثم عاد للحديث عن المؤمنين مرة أخرى فى الآيتين ٨،٩ لتأكيد ما ينتظرهم من جنات النعيم مؤكدًا لهم ذلك بقوله (وعد الله حقًا ) وختم بقوله (وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ) ؛ العزيز: الذى لا يغلبه شيء ولا يمنعه من إنجاز وعده لعباده أمر ، والحكيم : الذى يتصرف بحكمة فى الثواب والعقاب .
- أما الآيتان ١٠،١١ فقد ساقهما بعد وصفه تعالى بالعزيز الحكيم مدللاً بهما على مظاهر قدرته وعزته وحكمته البالغة في خلق السماوات والأرض ؛ الأولى رفعها والثانية أرساها وثبتها وعمّرها بالدواب والمخلوقات المتنوعة مما لا يُعد ولا يُحصى ، ثم سبب لهذه المخلوقات أسباب الحياة

---

[1] - الزركشى : البرهان ٤٠/١ ، السيوطى : الإتقان ١٠٨/٢-١٠٩.

[2] - الزركشى : البرهان ٤٦/١-٤٧ ، ٢٤٩،٣٤٩.

على الأرض بالمطر الذى أنزله من السماء وأنبت به كل أنواع الطعام للبشر والأنعام .

- الآية ١١ تطرح سؤالاً استنكاريًا فى قوله تعالى: (هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِن دُونِهِ بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ) على سبيل التهكم والسخرية من الكافرين المعاندين ومن آلهتهم التى يصنعونها بأنفسهم ثم يعبدونها وذلك لتوبيخهم وإظهار قلة عقلهم . ولما كان هذا الشرك واقعًا منهم لعدم رشدهم وقلة حكمتهم فى تدبر ما حولهم ، ساق لهم بعد ذلك - على سبيل العظة والاعتبار- قصة رجل حكيم فى القول والفعل آتاه الله الحكمة فانتفع بها وأراد أن ينفع بها ابنه وكل من يسمع هذه الوصايا .
- ومما يبين عظم هذه النعمة – وهى الحكمة- وأنها هبة من الله تعالى لمن أحب من عباده قدم طلب الشكر لله عليها قبل ذكر الوصايا التى تدل على حكمة لقمان وسداد رأيه فى قوله تعالى : ( وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنِ اشْكُرْ لِلَّهِ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ .... {١٢}) مبينًا أن ثواب هذا الشكر لا حاجة لله فيه ، وأنه راجع لصاحبه ؛ لأن الله تعالى غنى عن شكر من شكر ولا يضره كفر من كفر وكما قال الرازى : المعنى فى هذه الآية أن الله غير محتاج إلى شكر حتى يتضرر من كفر الكافر وهو فى نفسه محمود سواء شكره الناس أم لم يشكروه .[1]
- بعد ذلك ساقت الآيات وصايا لقمان ونصائحه لابنه وقد بدأها بتحذيره من مغبة الشرك بالله ، ثم ذكر له علة هذا التحذير بقوله :(... يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ{١٣}) لأنه على غير ما تقتضى الحكمة فمن أظلم ممن سوى بين الخالق والمخلوق ، أما الوصية الثانية بعد عدم الشرك فهى بر الوالدين اللذين جعلهما الله سببًا لوجودنا فى هذه الحياة لما تحملاه فى سبيل ذلك خاصة الأم ، لذلك خصها بالذكر فى الآيتين ١٤، ١٥ حيث بدأت الآيتان بالعموم وهو الوالدان ثم انتقلت إلى الخصوص وهو الأم وقد ساقت الآيات علة ذلك فى قوله: ( وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ...) ثم إلى العموم مرة أخرى فى سياق الشكر: (أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ{١٤}... ) وهكذا نجد الوصايا بدأت بتجنب الشرك بالله ، ثم بر الوالدين لاسيما الأم ، ثم ذكرت علة ذلك ، ثم وجوب الشكر لله تعالى على نعمه ظاهرة وباطنة ، ثم شكر الوالدين وختمت الآيات بقوله تعالى " إِلَيَّ الْمَصِيرُ" أى كما أوجدتك فى هذه الحياة وجعلت الوالدين سببًا لذلك ، سوف تعود إلىَّ مرة أخرى لأجازى المحسن على إحسانه والمسيء على إساءته .
- والآية التالية (وَإِن جَاهَدَاكَ عَلَى أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا ..) تشرح مزيدًا من التفاصيل عن علاقة الأبناء بالوالدين حتى لو كانا كافرين ، فنهت عن طاعتهما فى

[1] - أبو بكر الرازى : التفسير الكبير ١٤٥/٢٥.

الشرك بالله مع معاملتهما بالمعروف دون إساءة إليهما، ولا تجعل كفرهما بالله أو إشراكهما به ذريعة لإنكار جميلهما وكل ما تحملاه فى سبيل تربيتك منذ الصغر .

فى هذه الآيات عود على بدء ؛ فالبدء كان النهى عن الشرك ، ثم بر الوالدين وطاعتهما فى غير معصية ثم عادت الآيات إلى النهى عن الشرك مرة أخرى حتى لو أتى أمره من أصحاب الحقوق علينا ، مما يؤكد عظم ذلك الذنب وقبحه وتأكيد الآيات لذلك ثم عادت الآيات القرآنية إلى استكمال وصايا لقمان فى الآيات من ١٦ إلى ١٩ من أول قوله: ( يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَاوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ{١٦} يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ{١٧} وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ{١٨} وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِن صَوْتِكَ إِنَّ أَنكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ{١٩} )

بدأت الآيات بقوله: يا بنى وهو نداء يبرز الحرص على نفعه وإظهار المودة له ويحثه على عدم الاستهانة بالخطيئة أو الذنب مهما صَغُر لأنه لو كان فى وزن مثقال حبة من خردل وهى متناهية الصغر ليس هذا وحسب – بل كانت فى مكان خفى فى عمق صخرة صماء فى جوف الأرض أو فى أعلى مكان فى السماء لم تكن لتخفى عن علم الله وهو اللطيف الخبير وصفة اللطيف تتناسب مع قوله : ( مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ ) لصغرها ودقتها مما يحتاج إلى اللطف وصفة الخبير تتناسب مع قوله : (فَتَكُن فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَاوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ) أى عالم ببواطن الأمور ومحيط بالكون كله لا يخفى عليه فيه شىء .

وفى الآية ١٧ يواصل لقمان وصاياه لابنه منتقلاً به من أسلوب النهى والتحذير إلى أسلوب الأمر والحث والإرشاد بادئا إياه بالنداء فى قوله : ( يا بنى ... أقم ... ) والنداء هنا له قيمة نفسية عميقة إذ أراد أن يذكره بقرب الصلة بينهما ويعزز فى نفسه الرغبة فى الاستجابة لهذه النصائح والوصايا ويقدم له ما يؤكد الحرص على نفعه فلا أحد يرغب فى إسعاد الإنسان أكثر من والديه ، فهذا النداء تمهيد نفسى للابن حتى ينشرح صدره ويستجيب لهذه الأوامر والتوجيهات التى رتبها ترتيبا منطقيًا ؛ بدأها بوجوب إقام الصلاة وفى ذلك إصلاح لنفسه بعبادة الله ثم إصلاح حال غيره من الناس بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، ثم أمره بالصبر لأن الذى يدعو إلى معروف أو ينهى عن منكر معرض للأذى سواء من الذين يأمرهم بالمعروف أو من الذين ينهاهم عن المنكر لذلك قال له: ( وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ ) أى نتيجة للدعوة ، وهى من الأمور الواجبة عليك والمكلف بها من الله تعالى .

وبعد أن أمره بالاستقامة والمحافظة على الصلاة ودعوة الناس إلى الفضائل والصبر على ذلك ، خشى أن يصيبه الغرور والعجب بهذه الصفات وهذه المكانة بين الناس فنصحه قائلاً: (وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ{١٨} وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِن صَوْتِكَ إِنَّ أَنكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ{١٩})

عاد به هنا إلى أسلوب النهى مرة أخرى فى نوع من المراوحة والتنويع بين أساليب الحث والتحضيض ، وعدم التزام وتيرة واحدة حتى يدفع عن النفس -التى ينشد لها الاستقامة - السأم والملل فتعزف من المراد منها وتنصرف عنه ليس نفورًا منه فى ذاته وإنما من رتابة الأسلوب الدعوى وعدم قدرته على التأثير.

وبعد أن نهاه عن الميل بوجهه عن الناس كبرًا وغرورًا وإعراضًا عنهم عمم النهى فى قوله: (وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا) أى حتى فى سيره على الأرض ينبغى أن تتحلى مشيته بالسكينة والوقار والبعد عن المغالاة والتبختر، ثم ذكر له علة ذلك، وأنه ليس من أجل الناس وإنما من أجل من خلق الناس رب العالمين فهو يكره المتعالى على الناس المتكبر عليهم (إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ{١٨})

وفى الآية ١٩ ( وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ) رجع به إلى أسلوب الأمر مرة أخرى وهكذا تدرجت الآيات من النهى والتحذير إلى الأمر ثم إلى النهى ثم إلى الأمر مرة أخرى، ولم تسرد الأوامر دفعة واحدة حتى لا تثقل على النفس، ولم تذكر النواهى تباعًا حتى لا يشعر الابن بالتضييق عليه والحد من حريته ، وهذا التنقل بين الأسلوبين يعطى النفس استراحة فتتقبل مضمون الخطاب ولا تنفر منه .

بعد أن نهاه عن التبختر فى المشى ، ينصحه بأن تكون مشيته معتدلة ومتوسطة بين البطء والإسراع ، لا غلو فيها ولا تخاذل، وكذلك صوته ينبغى أن يكون صوتًا حسنًا ، ليس قبيحًا ولا منفرًا ؛ فالصوت إذا ارتفع يؤذى السامع ويصبح كصوت الحمار فى إزعاجه وينصرف الناس عما فى كلامه من نفع، وحسن الصوت مطلوب لكل شخص ويُطلب أكثر لمن يدعو الناس إلى مكارم الأخلاق، وقد سبق فى الآية "١٧" أن أوصاه بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، فلم ينس أن يطلب منه حسن الصوت حتى يؤثر فى الناس ويستمعوا لوعظه ونصحه. وكعادته يسوق فى آخر توجيهه علة ذلك التوجيه بقوله:(إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ{١٩}) فعلاقة العلة والسببية واضحة فى هذه الآيات، علاوة على أنه ضرب له مثلاً للصوت المنكر- الذى تنفر منه الأذن- حتى يقوى فى نفسه الحرص اتباع وصاياه.

ولما بدأت الوصايا بالنهى عن الشرك والأمر ببر الوالدين والدعوة إلى مكارم الأخلاق انتقلت إلى سرد الأدلة والبراهين على وحدانية الله تعالى ومظاهر تفرده بخلق الكون كله ؛ سمائه ، وأرضه ، وما ساقه للبشر من نعم ظاهرة وباطنه ، ثم عرضت الآيات موقف الجاحدين المجادلين كبرًا بغير علم ولا تعقل فى الآيتين ٢٠، ٢١ (أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ{٢٠} وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ{٢١})

هذا الفريق من البشر حجبوا عقولهم وأغمضوا أبصارهم عن الحق الظاهر وساروا فى طريق الضلال متبعين آباءهم فى ضلالهم وغفلتهم وختم بهذا الاستفهام الاستنكارى والمقصود حتى لو كان الشيطان ينتظرهم فى نهاية هذا الطريق ليجرهم معه إلى عذاب السعير، ولم تغفل الآيات موقف الفريق الثانى من الناس وهم الذين أقبلوا

على الله وأسلموا له موقنين بالعاقبة فى قوله تعالى:(وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى وَإِلَى اللَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ{٢٢}) ذكر الزمخشرى أن ذلك من باب التمثيل، مثلت حال المتوكل على الله بحال من تدلى من شاهق فاحتاط لنفسه بأن استمسك بأوثق عروة، من حبل متين مأمون انقطاعه. [1]

ثم عادت الآيات لذكر الفريق الأول مرة أخرى لتسرية نفس الرسول ﷺ فى قوله تعالى: ( وَمَن كَفَرَ فَلَا يَحْزُنكَ كُفْرُهُ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ فَنُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ{٢٣} نُمَتِّعُهُمْ قَلِيلاً ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَى عَذَابٍ غَلِيظٍ{٢٤} وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ{٢٥}..) أى لا عليك منهم، ولا تحزن عليهم فحسبك أنك بلغت وأنا متكفل بمصيرهم يوم القيامة، بعد أن متعتهم قليلاً فى الحياة الدنيا.

وهكذا تتسق الآيات فى السورة من أولها إلى وسطها إلى آخرها ؛ ففى أولها بدأ الحديث عن حال السعداء المهديين الذين اهتدوا بآيات الله ، ثم ثنى بالحديث عن الصنف الآخر؛ فعطف عليهم بذكر حال الضالين الأشقياء الذين لم ينتفعوا بهدى الله وآياته .

وفى هذا الموضع ذكر فى الآيتين ٢٠ ، ٢١ حال المجادلين الجهلاء ومصيرهم ثم عطف عليه فى الآية ٢٢ بذكر حال الصالحين المنقادين لأوامر الله تعالى ومصيرهم وكما تقول الحكمة : بأضدادها تتضح الأشياء ، أو كما قال الشاعر: والضد يبرز حسنه الضد .

وفى الآيات من٢٥ إلى٣٢ (وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ{٢٥} لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ{٢٦} وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِن بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ{٢٧} مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ{٢٨} أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى وَأَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ{٢٩} ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ{٣٠} أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِنِعْمَتِ اللَّهِ لِيُرِيَكُم مِّنْ آيَاتِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ{٣١} وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوْجٌ كَالظُّلَلِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ فَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ{٣٢} ) يستكمل المولى – عز وجل - كلامه عن هؤلاء المعاندين فيطلب من رسوله ﷺ أن يسألهم عن خالق السماوات والأرض، فلا يجدون بدًا من الاعتراف، لأن الآية واضحة ونسبة الخلق والكون إلى الله تعالى لم ينازعه فيها أحد ، وعندما يعترفون وتظهر الحجة عليهم، فقل الحمد لله الذى أنطقهم بالحق وبصدق آياته ، لكن أكثرهم لعنادهم لا يتدبرون ولا يفكرون فى هذا الخالق الذى له كل ما خلق فى السماوات والأرض دون شريك ، لكنكم لجهلكم وقلة علمكم تشركون معه ما خلق ، وهو مستغن عن عبادتكم ، محمود بدونكم ، ولما وصفهم بقلة العلم ، ذكّرهم بعلم الله تعالى الذى لا ينفد حتى لو اتخذنا جميع أشجار الأرض أقلامًا

[1] الزمخشرى : الكشاف ٣٩٥/٣.

وجميع بحور الأرض مدادًا وزدنا عليها سبعة أبحر وكتبنا كلام الله وعلمه لنفدت الأقلام والمداد وبقيت كلمات الله ولم تنفد.

وتقول الآيات للتدليل على قدرة الخالق وعظمته أيها الناس على كثرتكم أينما كنتم ومتى وجدتم، لا يمثل خلقكم جميعًا عند الله إلا ما يمثله خلق واحد منكم، وخلقكم من عدم وبعثكم بعد الموت كفرد واحد أمام قدرة الله التى لا يعجزها شيء ، وعلى كثرتكم هو محيط بكم ؛ يسمع ما تقولون ويبصر ما تفعلون لا يخفى عليه شيء ، لا من أقوالكم ولا من أفعالكم .

وإذا كانت السورة قد بدأت فى مستهل آياتها بذكر مظاهر قدرة الله الجلية فى الكون كله ، ثم حذرت من الشرك به عادت مرة أخرى من خلال هذه الآيات لذكر دلائل قدرته فى الآفاق ، وفى السماوات والأرض، وفى خلق الناس أجمعين ، وفى تعاقب الليل والنهار ، وفى تسخير الشمس والقمر ، وقد ذكر الله - تعالى- لهم ذلك ليتأكدوا أن الله هو الحق المستحق للعبادة وحده، وأن ما يعبدون من دونه من أصنام وأوثان وهم وزيف وباطل لا حقيقة له ولا نفع فيه .

ثم ساق لهم نعمة أخرى وهى تسخير الماء فى البحار لحمل السفن التى يستعملونها فى نقل التجارة والطعام والأرزاق من مكان إلى مكان وهم يتمتعون بهذه النعمة لا يتذكرون المنعم ولا يتفكرون فى آلائه ، حتى إذا تعرضوا – وهم فى عرض البحر – للخطر من الأمواج العاتية ذكروا الله وأخلصوا له الدعاء، لأنهم علموا وأيقنوا أنه لا إله غيره، ولا منجى لهم من محنتهم سواه، فما الذى حدث بعد أن دعوه ؟ الذى حدث أنه سبحانه وتعالى أجاب دعاءهم ونجَّاهم ، فماذا كانت النتيجة ؟ هذه الأسئلة تخطر على ذهن القارئ لهذه الآيات ، فتجيب الآيات عنها وتنتج حالة من التواصل بين خواطر القارئ وتوقعاته وبين النص ، لأن الله تعالى يعلم السر وما أخفى من السر، فتأتى الإجابة : بعد أن أنجاهم كعادتهم انقسموا فريقين ؛ الأول مقتصد: أى متوسط فى العمل والعبادة وهذا تقصير فكان ينبغى عليهم إتمام العبادة لله تعالى .

والآخر جاحد: وهذا الصنف محذوف من الآية لم يُذكر صراحة، ولكن دلت عليه بما بعده ، وهو قوله: (وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ). أى كل غدَّار مُغالٍ فى الكفر والنكران .

وإذا كانت السورة قد تضمنت وصايا والد لولده حرصًا منه على نفعه واستقامته فهاهى تختم بوصايا رب العالمين للناس جميعًا تبصيرًا لهم لحثهم على التقوى والاستعداد ليوم القيامة يوم لا يغنى والد عن ولد ولا ولد عن والد ، كلٌ يسعى لشأنه فى ذلك اليوم الذى لا ينفع الإنسان فيه إلا عمله، مؤكدًا لهم أن يوم القيامة حق لا مراء فيه ولا مهرب منه، وأن الحياة مهما طالت قصيرة وإلى زوال، ومهما كان فيها من متع فهى قليلة وزائلة كما قال تعالى: (نُمَتِّعُهُمْ قَلِيلاً ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَى عَذَابٍ غَلِيظٍ {٢٤}) وإذا كانت الآية "٢٤" تشير إلى متع الدنيا القليلة ، فإن الآية ٣٣ تحذر من الغرور بالدنيا ومفاتنها ومباهجها، لأن الوعد الحق هو يوم القيامة الذى بعده نعيم مقيم ، أو عذاب أليم قال تعالى : (يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ وَاخْشَوْا يَوْماً لَا يَجْزِي وَالِدٌ عَن وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِ شَيْئاً إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ{٣٣})

وقد ذكرت السورة من قبل العلاقة بين الوالد "لقمان" وابنه وحرصه على نفعه وهدايته إلى الصراط المستقيم ، وشرحت قوة عاطفة الأب تجاه ابنه لذلك يوصيه بعدم الشرك والإحسان إلى الوالدين والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر . أما الآية ٣٣ فتؤكد أن هذه العلاقة هى فى الدنيا أما فى الآخرة ، فلا الوالد مَجْزِىٌّ عن ولده ، ولا الولد مَجْزِىٌّ عن والده، كل له شأن يغنيه، وقد أكد الله -تعالى- هذا المعنى فى قوله- تعالى- فى سورة عبس (يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ * وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ * وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ * لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ) الآيات (٣٤-٣٧) ، كما تحذر الآية من الشيطان الذى يغر الإنسان ويلهيه بالباطل ويبعده عن الله وعن طاعته (وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ). واختتمت السورة بإسناد مفاتيح الغيب الخمسة إلى الله وحده -سبحانه وتعالى- فقد جاء فى الحديث الصحيح أخرجه البخارى [1]: أن عبد الله بن عمر – رضى الله عنهما- قال : قال النبى ﷺ: (مفاتيح الغيب خمس ثم قرأ: (إن الله عنده علم الساعة) لقمان :٣٤.

## عاشرًا: مناسبة فواصل الآى لآياتها :

الفاصلة هى كلمة آخر الآية كقافية الشعر وقرينة السجع ، قال القاضى أبو بكر : الفواصل حروف متشاكلة فى المقاطع يقع بها إفهام المعانى ، وفرَّق الدانى بين الفواصل ورءوس الآي ، فقال : الفاصلة هى الكلام المنفصل عما بعده ، والكلام المنفصل قد يكون رأس آية وغير رأس ، وكذلك الفواصل يكن رءوس آيات وغيرها ؛ فكل رأس آية فاصلة وليس كل فاصلة رأس آية . فالفاصلة تعم النوعين ، وتُسمى فواصل لأنه ينفصل عندها الكلامان. [2]

وقد ألف الشيخ شمس الدين ابن الصانع الحنفى كتابًا سماه: إحكام الراى فى أحكام الآى قال فيه : اعلم أن المناسبة أمر مطلوب فى اللغة العربية يرتكب لها أمور من مخالفة الأصول ، وقد عدَّ فى هذا الكتاب نيفًا عن الأربعين حكمًا من الأحكام التى وقعت فى آخر الآى مراعاة للمناسبة. [3] إن الفاصلة القرآنية تحمل دلالتين فى آن واحد ؛ دلالة نابعة من اللون الموسيقى المتكرر والأخرى من المعنى العام للآية حيث تأتى الفاصلة فى الآية القرآنية منسجمة مع المعنى الذى تتضمنه الآية ومتممة له وهو ما يترتب عليه التماسك الدلالى والتكامل فى المعنى بين أول الآية وآخرها وهو ما أشار إليه الزركشى بقوله: "اعلم أن من المواضع التى يتأكد فيها إيقاع المناسبة مقاطع الكلام وأواخره وإيقاع الشيء فيها بما يشاكله، فلابد أن تكون مناسبة للمعنى المذكور أولا ؛ وإلا خرج بعض الكلام عن بعض ، وفواصل القرآن العظيم لا تخرج عن ذلك" [4] وقد

---

(1) صحيح البخارى : كتاب: تفسير القرآن (٣١) سورة لقمان ، باب : قوله ( إن الله عنده علم الساعة) حديث رقم (٤٧٧٨) ٣ / ١٢٠٥.

(2) الزركشى : البرهان ٥٣/١، ٥٤ ، السيوطى : الإتقان ٩٦/٢، ٩٧.

(3) السيوطى : الإتقان ٩٩/٢.

(4) الزركشى: البرهان ٧٨/١، أبو الأصبع المصرى: تحرير التحبير ٢٢٥/١.

ذكر أبو الأصبع أن فواصل الآى لا تخرج عن أحد أربعة أشياء؛ التمكين والتصدير والتوشيح والإيغال . [1]

يقول الزركشى :" واعلم أن إيقاع المناسبة فى مقاطع الفواصل حيث تطرد متأكد جدًا، ومؤثر فى اعتدال نسق الكلام وحسن موقعه من النفس تأثيرًا عظيمًا ، ولذلك خرج عن نظم الكلام لأجلها فى مواضع" [2] ذكر منها :

١- زيادة حرف.
٢- حذف الهمزة أو حذف حرف اطرادًا "والليل إذا يسر" الفجر ٤.
٣- الجمع بين المجرورات "ثم لا تجدوا لكم علينا به تبيعا" الإسراء ٦٩.
٤- تأخير ما أصله أن يقدم "فأوجس فى نفسه خيفة موسى" طه ٦٧.
٥- إفراد ما أصله أن يُجمع " إن المتقين فى جنات ونهر" القمر ٥٤.
٦- جمع ما أصله أن يُفرد "لا بيع فيه ولا خلال" إبراهيم ٣١.
٧- تثنية ما أصله أن يُفرد "ولمن خاف مقام ربه جنتان" الرحمن ٤٦.
٨- تأنيث ما أصله أن يذكر "كلا إنها تذكرة" المدثر ٥٤.
٩- صرف ما أصله ألا ينصرف "قواريرا" الإنسان ١٥، ١٦.
١٠- إمالة ما أصله ألا يُمال "والضحى، والليل إذا سجى" الضحى ٢٨.
١١- العدول عن صيغة الماضى إلى المستقبل( ففريقًا كذبتم وفريقًا تقتلون) البقرة ٨٧.

أشار الدكتور تمام حسان إلى أن الفاصلة تأتى فى نهاية الآية لتحقق للنص جانبًا جماليًا لا يخطئه الذوق السليم لأننا نحس أنها تضفى على النص قيمة صوتية منتظمة ينقسم سياق النص بها إلى وحدات أدائية تعد معالم للوقف والابتداء وتتضافر مع الإيقاع فينشأ من تضافرهما أثر جمالى ..... ويحس القارئ عند الفاصلة أنه يقف عند معلم من معالم السياق .[3]

والنظم القرآنى قائم على اختيار الألفاظ التى تناسب المقام الذى تستعمل فيه فهو يستعمل من الألفاظ أمسها رحمًا بالمعنى وأفصحها فى الدلالة عليه ، وأبلغها فى التصوير، وأحسنها فى النسق ، ويطرد ذلك فى جملة القرآن على اتساعه وما تضمن من أنواع الدلالات ووجوه التأويل. [4]

وتعد الفاصلة القرآنية من أشهر مظاهر المناسبة فى القرآن الكريم بين الألفاظ ؛ لأن طبيعة الفاصلة أنها إتيان بخواتم الآيات طبقًا لاختيار أسلوبى مقصود ، بحيث يكون ثمة مناسبة صوتية بين رءوس الآيات. [5] وقد توسَّع علماء التفسير والإعجاز

---

[1] الزركشى: البرهان ٦٠/١.
[2] الزركشى: البرهان ٦٠/١.
[3] د. تمام حسان : البيان فى روائع القرآن ص ١٩٥- ١٩٦.
[4] مصطفى صادق الرافعى: إعجاز القرآن والبلاغة النبوية ، تحقيق عبد الله المنشاوى، ص١٩٢.
[5] د. مصطفى شعبان عبد الحميد: المناسبة فى القرآن (دراسة لغوية أسلوبية للعلاقة بين اللفظ والسياق
اللغوى) ص ٢٥٦.

القرآنى فى شرح أنواع الفواصل القرآنية وأفاضوا فى تفاصيل أنواعها الأربعة. [1] وفيما يلى نماذج من فواصل الآيات فى سورة لقمان :

١ - مقارنة بين فاصلتى آيتين متتاليتين فى سياق واحد:

( وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ{٦}) ( وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا وَلَّى مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِي أُذُنَيْهِ وَقْرًا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ{٧})

ختمت الآية الأولى بوصف العذاب بأنه مهين، وختمت الثانية بوصفه بأنه أليم مع أن الآيتين فى السياق نفسه وهو موقف الكافرين من آيات القرآن الكريم إذا سمعوها فما الفرق ؟ الفرق أن الآية الأولى أفادت أنهم كانوا ينفقون أموالهم لشراء المغنيات والقيان ، ليصرفوا الناس بهن عن الاستماع للقرآن والتدبر فيه، كما أنهم كانوا ينفقون أوقاتهم فى جمع القصص والحكايات والأساطير ويحكونها للناس ويلهونهم بها عن القرآن، بل زادوا على ذلك أنهم إذا سمعوا آيات القرآن استهزءوا بها وسخروا منها، فلم يكتفوا بضلالهم وانصرافهم عن القرآن وإنما بذلوا الغالى والنفيس فى سبيل صد الناس وصرفهم عن الاستماع للقرآن الكريم فكان فى عذابهم إهانة وإذلال بالإضافة إلى الألم ليتناسب العقاب مع ذنبهم العظيم فى حق كلام الله تعالى.

أما المعنى فى الآية الثانية فأنهم أعرضوا وصدوا عن آيات القرآن الكريم وولوا وكأنهم لا يسمعون شيئا أو أن آذانهم صمت، لكنهم اقتصروا على أنفسهم ولم يتعدوها إلى الآخرين ليؤثروا فيهم، ولم يصدر عنهم استهزاء بالآيات وإنما إعراض وتجاهل، فكان عقابهم أهون فوصف العذاب بأنه "أليم" أى موجع لكن الوصف لا يتضمن الإهانة علاوة على الألم.

٢ - فاصلة قوله تعالى :( وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنِ اشْكُرْ لِلَّهِ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ{١٢} ) فصفة غنى تأكيد لمعنى الجملة الأولى وهى من شكر فإنما يشكر لنفسه أى أنه غنى عن الشكر غير محتاج إليه وصفة حميد أى محمود فى ذاته وأفعاله لا يضره كفر من كفر وامتنع عن شكره تعالى، فقدم الغنى ليناسب مقام الشكر وأخر الحمد ليناسب مقام الكلام عن الكفر والجحود من بعض العباد فى حق الله تعالى.

٣ - فاصلة قوله تعالى: ( وَإِن جَاهَدَاكَ عَلَى أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ{١٥}) فاصلة متمكنة مستقرة متعلق معناها بمعنى ما قبلها وقد مهد لها بقوله تعالى: (ثم إلىّ مرجعكم فأنبئكم...)

---

[1] لمزيد من الشرح والتفصيل والنماذج على كل نوع انظر: أبو الأصبع المصرى: تحرير التحبير ٢٢٥/١،
السيوطى: الإتقان ٧٤/٢.

٤- فاصلة قوله تعالى: ( يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَاوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ{١٦})

تقدم فى الآية ذكر مثال متناه فى الصغر فاقتضى ذلك تقديم صفة اللطف ثم تلاه ذكر الاختفاء فى أماكن متعددة ودقيقة كأن تكون فى بطن صخرة أو فى السماوات أو فى جوف الأرض فاقتضى ذلك صفة "خبير" أى عليم بكل هذه الأماكن وبما هو أدق منها.

٥- فاصلة قوله تعالى:( يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ{١٧})

تضمنت الآية أربعة من الأوامر وهى : أقم ، وأمر ، وأنه ، واصبر ، وهى تكاليف جميعها تحتاج إلى عزيمة قوية وجلد وصبر وتحمل فالإنسان فى أداء الصلاة والحرص عليها يحتاج إلى مجاهدة النفس والهوى والشيطان، وفى سبيل الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر يتعرض لمضايقات وصد وإعراض ، فإن لم يكن من أصحاب العزيمة القوية لانصرف عن ذلك ، والصبر فى الشدائد يحتاج قوة وعزيمة ، فكان أنسب ختام لهذه الآية قوله تعالى :" إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ "

٦- فاصلة قوله تعالى:( وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ{١٨} )

قُدِّم مختال وأخر فخور ، لأن (مختال) تناسب المعنى الأول ، و( فخور) تناسب المعنى الثانى، لأن الجملة الأولى (لا تصعر خدك للناس) تبين الموقف من الناس وهو التعالى والتكبر فاختار له (مختال) والجملة الثانية (ولا تمش فى الأرض مرحًا) لم تتضمن موقفه من الناس وإنما عبرت عن شعور داخلى بالفخر جعله يمشى فى الأرض سعيدًا مسرورًا فناسبه كلمة (فخور).

٧- فاصلة قوله تعالى: ( وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِن صَوْتِكَ إِنَّ أَنكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ{١٩})

هذه الفاصلة مما سماه العلماء "رد العجز على الصدر" أو "التصدير" وهو أن تكون اللفظة بعينها قد تقدمت فى أول الآية ثم يكررها فى الفاصلة فقد تكررت كلمة صوت فى الآية أكثر من مرة مما جعلها متوقعة ومنسجمة مع الآية التى ختمتها.

٨- مقارنة بين فاصلتى آيتين متتاليتين فى سياق واحد وهو "الثواب والعقاب"(وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى وَإِلَى اللَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ{٢٢} "وَمَن كَفَرَ فَلَا يَحْزُنكَ كُفْرُهُ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ فَنُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ{٢٣})

ختم الآية الأولى بقوله تعالى: (وَإِلَى اللَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ ) وختم الثانية بقوله:(إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ) وهى فاصلة متمكنة مؤتلفة مع معنى الآية ؛ لأن الأولى تتكلم عن الذين أسلموا لله وأحسنوا إسلامهم وتمسكوا بالإيمان بالله فأراد الله أن يطمئنهم أن ذلك لن يذهب سدى وإنما هم مجزيون عليه لأن عاقبة ذلك عند الله تعالى، أما الثانية فهى تتكلم عن الكافرين الذين أصروا على كفرهم والكفر محله القلوب التى فى الصدور فأراد أن يؤكد لهم علمه بما حوت صدورهم من كفر وقد مهد لها بقوله "إلينا مرجعهم فننبئهم بما عملوا".

٩- فاصلة قوله تعالى: ( لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ{٢٦}) تقدم فى الآية ذكر إثبات الملكية لله فى السماوات وما فيها والأرض وما عليها فالذى يملك كل ذلك هو الله لذلك فهو غنى وحميد أى مستحق للحمد .

١٠- فاصلة قوله تعالى: (وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوْجٌ كَالظُّلَلِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ فَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ{٣٢}) هؤلاء القوم مَنَّ الله عليهم بآية وهى إجابة دعائهم عندما حاصرهم الموج من كل مكان وتيقنوا من الهلاك فدعوا الله مخلصين فى الدعاء وقطعوا على أنفسهم لئن نجوا ليؤمنون بالله ويخلصون له، فلما أجابهم جحدوا بهذه النعمة الظاهرة والآية الواضحة وكفروا بالله لذلك وصفهم بقوله "ختار كفور" وهما صيغتا مبالغة من ختر وكفر .

١١- فاصلة قوله تعالى: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ وَاخْشَوْا يَوْمًا لَّا يَجْزِي وَالِدٌ عَن وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِ شَيْئًا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ{٣٣} ) وهى من "رد العجز على الصدر أو التصدير" ؛ فكلمة الغرور جاءت منسجمة ومتلائمة مع ما جاء فى الآية من نهى عن الغرور بالحياة ومباهجها.

١٢- فاصلة الآية الأخيرة: (إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ{٣٤})

تقدم فى الآية إثبات العلم لله بأمور الساعة والغيث والأرحام فقدم صفة "عليم" ثم تلاه بنفى الدراية بأمور الرزق والمستقبل وما سيحدث فيه والدراية بموعد انتهاء الأجل ومكانه عن جميع الخلق الذين عبَّر عنهم بكلمة "نفس" وقصر الدراية بكل هذه الأمور الخفية عليه -سبحانه وتعالى- فجعل لهذا المعنى صفة "خبير"، وفى العصر الحديث استعان الناس بالأجهزة الحديثة فى التنبؤ بقرب نزول المطر أو فى معرفة نوع الجنين لكنه علم ناقص ومبتور ، فلا أحد يعرف حتى الآن كيف ينزل المطر وكيف يوجده الله – تعالى – من عدم ، ومعرفة نوع الجنين أذكر هو أم أنثى لا تتم إلا بعد تقدم أشهر الحمل وأحيانا لا يتحققون من ذلك ، أما علم الله به فمنذ كان حيوانا منويًا ، وإذا عرفوا نوعه فلا أحد يعرف أشقى هو أم سعيد ، أسود أم أبيض وأين سيعيش وكم سيعيش وما رزقه ومتى سيموت إلى غير ذلك من أقدار الله عليه .

كل أنواع المناسبات السابقة عبارة عن مجموعة من العناصر والوسائل اللغوية التى تحقق بها التماسك النصى فى هذه السورة فجعلتها نصًا مسبوكًا محبوكًا متماسكًا فيما بينه كأنه قطعة من نسيج محكم متجانس مع ما سبقه وما لحقه من نصوص مما يجعله مؤثرًا فى المتلقى فيحقق النتيجة المرجوة منه ، وهذا النص أحد أهم موضوعاته حرص لقمان على التأثير فى ابنه وتعديل سلوكه ، فجاءت لغته مؤثرة ومؤدية لهذا الغرض ، لذلك وجدت من المناسب أن أتناول الأدوات اللغوية التى تؤثر فى متلقى هذا النص وتوجد لديه نوعًا من التفاعل والتجاوب مع المعنى المتحقق من خلاله

أدوات النص للتأثير فى المتلقى:

١- الجمل المتوازية: والموازاة بين الجمل تخلق نوعًا من التوقع والترقب لجمل النص وتجعلها وحدات ذات نسق واحد، هذا النسق المتكرر يربط المتلقي بالنص سواء أكان قارئا أم سامعًا، ومن أمثلة هذا التوازى فى النص:

الذين يقيمون الصلاة
ويؤتون الزكاة

وهم بالآخرة
هم يوقنون

أولئك على هدى من ربهم
وأولئك هم المفلحون

كأن لم يسمعها
كأن فى أذنيه وقرا

أقم الصلاة
و / أمر بالمعروف
و / أنه عن المنكر
و / اصبر على ما أصابك
و / لا تصعر خدك للناس
و / لا تمشى فى الأرض مرحًا

و / اقصد فى مشيك
و / اغضض من صوتك

يولج الليل فى النهار
ويولج النهار فى الليل

٢- المقابلة سواء على مستوى اللفظة أم على مستوى الجملة :

تتجلى الموازنة أيضًا فى الألفاظ والجمل المتقابلة التى توضح المقارنة بين ضدين ، سواء أكان الضدان حالتين أم فريقين أم موقفين أم مصيرين على أساس أن المقابلة تزيد المعنى وضوحًا لدى المتلقى فيركز اهتمامه عليه كما تجعله نشطًا ومترقبًا للنص ، فإذا ذُكِرَ له مثلاً حال المتقين السعداء ، تذكر حال الجاحدين الأشقياء ، وعندما يجده مذكورًا فى النص تنشأ حالة من التلاحم والارتباط بينه وبين النص ومنها :

أ- المقابلة على مستوى اللفظة : وهى كثيرة فى السورة سأعرض نماذج منها :

| الألفاظ المتقابلة | أرقام الآيات |
|---|---|
| ١- السماوات / الأرض | ١٠، ١٦، ٢٠، ٢٦ |

| | |
|---|---|
| ٢- يشكر / كفر | ١٢ |
| ٣- لا تطعهما / صاحبهما | ١٥ |
| ٤- أمر / انه | ١٧ |
| ٥- ظاهرة / باطنة | ٢٠ |
| ٦- يسلم / كفر | ٢٢، ٢٣ |
| ٧- خلقكم / بعثكم | ٢٨ |
| ٨- الليل / النهار | ٢٩ |
| ٩- الشمس / القمر | ٢٩ |
| ١٠- الحق / الباطل | ٣٠ |
| ١١- البحر / البر | ٣١، ٣٢ |
| ١٢- مقتصد / جاحد (ما يجحد) | ٣٢ |
| ١٣- والد / ولد | ٣٣ |

ب_ المقابلة على مستوى الجملة : ومنها فى السورة على سبيل المثال :

١- المقابلة بين حال المحسنين "الصالحين" وحال الضالين فى قوله تعالى:
(هُدىً وَرَحْمَةً لِلْمُحْسِنِينَ * الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ) تقابلها: ( وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُواً ... )، ثم تأتى المقابلة بين الصنفين فى المصير بين الثواب والعقاب: (أولئِكَ عَلَى هُدىً مِنْ رَبِّهِمْ وَأولئِكَ هُمُ المُفْلِحُونَ )
(أولئِكَ لَهُمْ عَذابٌ مُهِينٌ ).

٢- المقابلة بين مظاهر قدرة الله فى الخلق وبين الشركاء الذين يدعون:
( خَلَقَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا وَأَلْقَى فِي الأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ{١٠}، (هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ {١١})

٣ - مقابلة بين الشاكرين والجاحدين :
(وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ ) (وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ{١٢})

٤- مقابلة بين حال الفريقين يوم القيامة:
( وَمَنْ يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى وَإِلَى اللَّهِ عَاقِبَةُ الأُمُورِ{٢٢})
( وَمَنْ كَفَرَ فَلا يَحْزُنْكَ كُفْرُهُ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ فَنُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ{٢٣})

٥- مقابلة بين موقفين متناقضين ؛ موقفهم وقت الشدة والعسرة ، وموقفهم بعد النجاة:( وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوْجٌ كَالظُّلَلِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ)

(فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ فَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ{٣٢})

٣- التكرار: ونتناول فيه أنماط التكرار الآتية:

أ- التكرار المعجمى « تكرار المفردة ».

ب- تكرار صيغ وقوالب صرفية.

جـ- تكرار أساليب نحوية.

أ- التكرار المعجمى:

التكرار أداة من أدوات السبك المعجمى Lexical Cohesion وهو أحد الأساليب التى تستعمل من أجل الإلحاح على الارتباطات القائمة بين عناصر المحتوى أو بين تشكيلاته فى إطار النص.[1] وله وظيفة لدى المتلقى حيث يعمل على إنعاش الذاكرة لاستعادة مذكور سابق فى النص مما يجعل القارئ نشطًا ومتفاعلاً ومتوقعًا تجاه النص.

ولما كان أهم محاور هذه السورة "الكلام عن التوحيد" أو إثبات الوحدانية لله تعالى تكرر لفظ الجلالة "الله" فى هذه السورة "٣١ " إحدى وثلاثين مرة منها "٢٤" أربع وعشرين مرة جاء مفخمًا، و"٧" سبع مرات جاء مرققا، ولفظ "رب" ورد مرتين فى الآيتين٣٣،٥ وتكرر ذكر صفاته – تعالى- ؛ حيث ذكرت فى "١٩" تسعة عشر موضعًا منها ثمانية مواضع جمع فيها بين صفتين، وثلاثة مواضع جاءت فيها صفة واحدة:

وهى: - العزيز الحكيم "٩"

- غنى حميد "١٢"

- لطيف خبير "١٦"

- الغنى الحميد "٢٦"

- عزيز حكيم "٢٧"

- سميع بصير "٢٨"

- العلى الكبير "٣"

- عليم خبير "٣٤"

أما الصفات المفردة فهى:

١- عليم بذات الصدور "٢٣"

٢- بما تعملون خبير "٢٩"

٣- بأن الله هو الحق "٣٠"

هذا التكرار يدعم الموضوع الأساسى الذى تدور حوله السورة وهو موضوع العقيدة والتوحيد لله الواحد العزيز الحكيم الغنى الحميد اللطيف الخبير الحق العلى الكبير العليم" الذى لا يشاركه أحد فى هذه الصفات .

وهناك تكرار معجمى من نوع آخر وهو تكرار المفردة الواحدة مرتين أو أكثر فى الآية الواحدة أو فى آيتين متجاورتين مثل :

هم بالآخرة هم يوقنون "٤"

---

[1] د. إلهام أبو غزالة ، على خليل أحمد: مدخل إلى علم لغة النص، ص٩١.

| | |
|---|---|
| أولئك ... أولئك | "٥" |
| أولئك ... | "٦" |
| كأن ... كأنَّ | "٨" |
| خَلَق ... خَلقَ | "١١" |
| اشكر ... يشكر ... يشكر ... أن أشكر | "١٢" ، "١٤" |
| لابنه ... يا بنى، ... يا بنى ... يا بنى | "١٣" ، "١٦" ، "١٧" |
| لا تشرك ... إن الشرك .. تشرك | "١٣" ، "١٥" |
| والديه ... والديك | "١٤" |
| والد ... ولده ... مولود ... والده | "٣٣" |
| وهنا ... وهن | "١٤" |
| صوتك ... الأصوات ... لصوت | "١٩" |
| اتبعوا ... نتبع | "٢١" |
| كفر ... كفره | "٢٣" |
| السماوات والأرض | |
| السماء و الأرض ... أرض | "١٠"، "١٦"، "٢٠"، "٢٥"، "٢٦"، "٢٧"، "٣٤" |
| الليل والنهار | "٢٩" |
| البحر ... أبحر ... | "٢٧" |
| البحر | "٣١" |
| ما تدرى نفس ... ما تدرى نفس | "٣٤" |

ب- تكرار الصيغ الصرفية:

المشتقات: ١- صيغ المبالغة .
٢- اسم الفاعل .
٣- اسم المفعول .
٤- أفعل التفضيل .

أولًا: صيغ المبالغة :

من أكثر الوحدات الصرفية تكرارًا فى هذا النص حيث استخدمت أوزان صيغ المبالغة ثلاثين (٣٠) مرة على فعيل وفعول وفعَّال وغالبيتها ذكرت لتصف الله الواحد بالحكمة والعزة والغنى واستحقاق الحمد واللطف والخبرة والعلم والسمع والبصر والعلو والكبر .... الخ.

ثانيا: اسم الفاعل :

وردت صيغة اسم الفاعل فى هذا النص أربع عشرة مرة "١٤" معبرة عن المفرد أو المثنى أو الجمع، وتكرارها جاء أغلبه فى سياق الحديث عن الموحدين بالله المؤمنين بآياته المتدبرين لها فوصفهم: بالمحسنين، المفلحون، الخالدين فى النعيم، المخلصين، ومن لم يؤمنوا فهم "الظالمون ، الجاحدون ، ... " والمتوسط بين الحالين "مقتصد"، بالإضافة إلى ما جاء فى سياقات متنوعة مثل : دابة، والد، والديه، والديك، الباطل، ظاهرة، باطنة .

ثالثا : صيغة اسم المفعول :

لم ترد صيغة اسم المفعول فى السورة سوى مرتين هما: مُسَمًّى، مولود.

رابعًا : الفعل المبنى للمجهول:

ورد أيضًا مرتين : تُتلى ، قيل.

خامسا : أفعل التفضيل:

ورد مرتين هما : أنكر الصوات، العروة الوثقى.

إن تكرار قوالب أو بنيات صرفية معينة فى النص كله تحقق نوعًا من التماسك والترابط والتلاحم بين أجزاء النص ، ويعد هذا التكرار بمثابة المرشد الذى يقود المتلقى لفهم النص والاقتناع بمضمونه ، بالإضافة إلى ما يقوم به من سبك مكونات النص وربط أوله بوسطه بآخره مما يجعل المتلقى قادرًا على استعادته واستحضار معناه مرة أخرى بعد الفراغ من استقباله ، والتأثير فى المتلقى ليس عملاً هينًا ، بل عوّل عليه البعض فى الإعجاز القرآنى " يوشك أن يكون مناط الإعجاز الذى يتجه به القرآن إلى التأثير فى نفوس سامعيه، سواء أفهموا معانيه، وأحاطوا بأسرارها ودقائقها ، أم لم يفهموا أو يحيطوا بشيء منها " [1]

جـ تكرار أساليب نحوية:

أ- تكرار أساليب الطلب : وهى متنوعة بين الأمر والنهى والنداء وغيرها على مستوى السورة حيث تكررت هذه الأنماط ستًا وعشرين مرة "٢٦" توزعت على النحو الآتى:

- ست عشرة منها أمر .
- سبع مرات نهى .
- ثلاث مرات نداء .

استأثرت آيات الوصايا بالنصيب الأكبر من هذه الأساليب فى خطاب وصايا لقمان وهى الآيات السبعة من ١٣ إلى ١٩؛ فقد تضمنت الآيات تسعة "٩" من الأوامر هى "أن اشكر، وصاحبهما، اتبع، أقم، وأمر ...، وانه..، واصبر..، واقصد..، واغضض.." وسبعة أوامر فى بقية السورة وهى: "فبشره بعذاب، فأروني ماذا خلق الذين ، أن اشكر الله ..، اتبعوا ما أنزل الله ...، قل الحمد لله ، اتقوا ربكم، واخشوا يومًا..." كما تضمنت هذه الآيات "الوصايا" أربعة من أساليب النهى هى : "لا تشرك...، لا تطعهما، لا تصعر خدك ، لا تمشى فى الأرض مرحًا" وجاء ثلاثة منها فى بقية السورة وهى : " فلا يحزنك كفره ، فلا تغرنكم الحياة الدنيا ، ولا يغرنكم بالله الغرور."

أما أساليب النداء الثلاثة ، فقد استأثرت بها آيات الوصايا وهى:

- يا بنى لا تشرك بالله.
- يا بنى إنها إن تك مثقال حبة ...
- يا بنى أقم الصلاة.

---

[1] د. محمود أحمد نحلة : لغة القرآن فى جزء عم ص٤٣٩.

من ذلك يتضح تركز الجمل الطلبية فى آيات الوصايا لأن الموقف هنا موقف أب يحرص على نفع ابنه وصلاحه وإقناعه والتأثير فى سلوكه فساق له جملة من النصائح فى قالب: افعل كذا من أجل كذا، ولا تفعل كذا لأجل كذا .

وقد خلل ذلك بقوله "يا بنى" ثلاث مرات؛ الأولى قبل قوله: لا تشرك أى قبل نهى، والثالثة قبل قوله: أقم الصلاة ، أى قبل أمر. أما ما بينهما وهى الثانية ، فقد ساقها لا قبل نهى، ولا أمر، وإنما قبل حقيقة مؤكدة وقضية راسخة يؤمن بها لقمان وهى إحاطة الله - تعالى- بكل شيء وعلمه به مهما دق أو صغر أو خفى أو بعد عن الناس " يا بنى إنها إن تك مثقال حبة" وكأنه أراد أن يقول لابنه: يا بنى نهيتك أولاً عن الشرك بالله، ثم أمرتك ثانيًا بالصلاة له، لأنه محيط بنا، عالم بالأسرار والخفايا، ومن كانت هذه صفاته ، يا بنى فلا تشرك به وأقم الصلاة له ، وهذه قضية إقناع وتأثير واستمالة لذلك قدَّم لها بقوله : يا بنى .

ب- تكرار أساليب النفى:

تكررت أساليب النفى فى السورة سبع عشرة مرة؛ ثلاثة منها نفى استنكارى ، حيث سُبق النفى بحرف استفهام "الهمزة" وقد توزعت فى السورة على النحو الآتى:

| | |
|---|---|
| - كأن لم يسمعها | آية ٧ |
| - ما ليس لك به علم | آية ١٥ |
| - إن الله لا يحب كل مختال كفور | آية ١٨ |
| - ألم تروا أن الله سخر لكم... | آية ٢٠ |
| - بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير | آية ٢٠ |
| - لا يعلمون | آية ٢٥ |
| - ما نفدت كلمات الله ... | آية ٢٧ |
| - ما خلقكم ولا بعثكم إلا كنفس واحدة | آية ٢٨ |
| - ألم تر أن الله سخر لكم ما فى السموات وما فى الأرض | آية ٢٩ |
| - ألم تر أن الفلك تجرى فى البحر بنعمة الله ... | آية ٣٠ |
| - ما يجحد بآياتنا إلا كل ختار كفور | آية ٣٢ |
| - لا يجزى والد عن ولده | آية ٣٣ |
| - ولا مولود هو جاز عن والده | آية ٣٣ |
| - وما تدرى نفس ماذا تكسب غدا | آية ٣٤ |
| - وما تدرى نفس بأى أرض تموت | آية ٤ |

فأكثر حروف النفى استخدامًا هى "لا" حيث تكررت "سبع" مرات، تليها "ما" تكررت "خمس" مرات، ثم "لم" تكررت "أربع" مرات، وأخيرا "ليس" جاءت مرة واحدة .

جـ- تكرار أساليب الشرط :

مجموع أساليب الشرط فى السورة "اثنتا عشرة" مرة مع التنويع بين حروف الشرط وأسمائه حيث جاءت "مَنْ" الشرطية "أربع" مرات:

- من يشكر فإنما يشكر لنفسه آية ١٢

- من كفر فإن الله غنى حميد — آية ١٢
- من يسلم وجهه .... فقدا استمسك بالعروة الوثقى — آية ٢١
- من كفر فلا يحزنك كفره — آية ٢٣

وجاءت "إن – لئن" ثلاث مرات.

- إن جاهداك ... فلا تطعهما — آية ١٥
- إن تك مثقال حبة ... يأت بها الله — آية ١٦
- لئن سألتهم ... ليقولن الله — آية ٢٥

وجاءت "إذا" ثلاث مرات:

- وإذا تتلى عليه آياتنا ولى مستكبرا — آية ٧
- وإذا قيل لهم ... قالوا — آية ٢١
- وإذا غشيهم موج ... دعوا الله — آية ٣٢

جاءت " لو" مرة واحدة

- لو أنما فى الأرض من شجرة أقلام ما نفدت كلمات الله — آية ٢٧

وجاءت " لما" مرة واحدة:

- فلما نجاهم إلى البر فمنهم مقتصد... — آية ٣٢

٤- اختيار الجمل القصيرة :

هدى ورحمة للمحسنين
أولئك على هدى من ربهم
وأولئك هم المفلحون
كأن لم يسمعها
كأن فى أذنيه وقرا
فبشره بعذاب أليم
وإذ قال لقمان لابنه
وهو يعظه
لا تشرك بالله
إن الشرك لظلم عظيم
ووصينا الإنسان بوالديه
حملته أمه وهنا على وهن
وفصاله فى عامين
أن اشكر لى ولوالديك
إلى المصير
يا بنى أقم الصلاة
وأمر بالمعروف
وانه عن المنكر

واصبر على ما أصابك
إن ذلك من عزم الأمور
لا تصعر خدك للناس
ولا تمشى فى الأرض مرحًا
واقصد فى مشيك
واغضض من صوتك

تميزت آيات السورة باختيار الجمل القصيرة والسريعة خاصة فى آيات الوصايا بهدف سرعة التأثير فى السامع وإتاحة الفرصة له لتخزين الوصايا والآداب التى يسمعها فى ذاكرته تخزينًا نشطا وفعالاً حتى يتمكن من استدعائها بسهولة وسرعة فى المواقف المختلفة، فلو كانت الجمل طويلة ومتراكبة يصبح تخزينها فى الذاكرة أمرًا مجهدًا، وإعادة استدعائها أكثر جهدًا ومشقة، فيجد نفسه منصرفًا عنها مستثقلاً إياها، فلا يشق على نفسه لا فى حفظها ولا فى العمل بها، لذلك عمدت الآيات الكريمة إلى تيسير هذه الآداب والنصائح فقدمتها فى شكل جمل قصيرة وبسيطة لتجد طريقها إلى التأثير فى القلب والعقل ثم ينعكس أثر ذلك فى السلوك.

الخلاصة :

مما سبق نستخلص تحقق وجوه المناسبات المختلفة فى سورة لقمان باعتبارها جزء من نسيج محكم وهو القرآن الكريم الذى تضافرت سوره وآياته لتحمل كلام المولى – عز وجل – إلى الناس أجمعين .

إن سورة لقمان وحدة دلالية كلية متماسكة تحققت من خلال تضافر عناصر كثيرة تحتاج إلى منهج موحد ومتكامل لاستجلاء هذه العناصر وبيان دور كل منها فى تحقيق التماسك النصى والدلالى للسورة .

ما أسماه علماء الدراسات القرآنية " المناسبة " بنوعيها ؛ مناسبة لفظية ، ومناسبة معنوية تقابل مفهومى السبك (Cohesion) والحبك (Coherence) اللذين جعلهما علماء اللغة الغربيون معيارين من معايير النصية السبعة .

إن ما بذله المفسرون وعلماء الدراسات القرآنية من جهود فى مجال فهم النص القرآنى الكريم تحتاج منا إلى جهد فى تركيز الضوء على جهودهم ونظراتهم ، خاصة أنها ليست بعيدة عما انتهى إليه الدرس اللغوى الحديث فى مجال تحليل النصوص .

## قائمة المصادر والمراجع

الآمدى (الحسن بن بشير يحيى):
- الموازنة بين أبى تمام والبحترى ، تحقيق: محمد محيى الدين عبد الحميد (المكتبة العلمية – بيروت ، د.ت)

ابن الأثير (ضياء الدين نصر الله بن محمد):
- المثل السائر فى أدب الكاتب والشاعر، تقديم وتعليق: د. أحمد الحوفى ، د. بدوى طبانة (دار نهضة مصر- القاهرة ،د.ت)

أسامة بن منقذ :
- البديع فى نقد الشعر ، تحقيق: د.أحمد بدوى ، د. حامد عبد المجيد ومراجعة:
إبراهيم مصطفى (وزارة الثقافة والإرشاد القومى ، د.ت)

أبو الإصبع المصري:
- تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن ، تحقيق:
د. حفني محمد شرف (المجلس الأعلي للشئون الإسلامية – القاهرة ،١٩٩٥م)

د.إلهام أبو غزالة ، علي خليل حمد:
- مدخل إلى علم لغة النص (الهيئة المصرية العامة للكتاب ،١٩٩٩م ط٢)

الآلوسي (أبو الفضل شهاب الدين محمود):
- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ( دار الفكر – بيروت – لبنان ، ١٩٧٨م )

البخارى (أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم البخارى) :
- صحيح البخارى ( دار الفكر- بيروت – لبنان ،٢٠٠٧م)

البغوى ( الحسين بن مسعود):
- معالم التنزيل (دار المعرفة - بيروت – لبنان ، د.ت)

أبو بكر الرازي (فخر الدين محمد بن عمر بن الحسين):
- مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير (المكتبة التوفيقية - القاهرة ،٢٠٠٣م)
البيضاوى (عبد الله بن عمر الشيرازى):
- أنوار التنزيل وأسرار التأويل (مط البابى الحلبى – مصر ، ١٩٦٨م ط٢)
د. تمام حسان :
- البيان فى روائع القرآن ( عالم الكتب – القاهرة ، ١٩٩٣م )
الجاحظ (أبو عثمان عمرو بن بحر):
- البيان والتبيين ، تحقيق: عبد السلام هارون (الخانجي- مصر ،١٩٨٥م ط٥)
د. حسين نصار :
- فواتح سور القرآن (مكتبة الخانجى – القاهرة ، ٢٠٠٢م)
أبو حيان الأندلسي (محمد بن يوسف):
- البحر المحيط (دار الفكر- بيروت- لبنان ، ١٩٧٨م)
الزركشي (بدر الدين محمد بن عبد الله):
- البرهان في علوم القرآن (دار الفكر- بيروت- لبنان ، د.ت)

الزمخشري (أبو القاسم جار الله محمود بن عمر):
- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل (مط البابي الحلبي- مصر ،١٩٧٣م)
السيوطي (أبو الفضل جلال الدين عبد الرحمن):
- الإتقان في علوم القرآن (دار الفكر- بيروت- لبنان ، د.ت)
- تناسق الدرر في تناسب السور ، تحقيق: عبد القادر أحمد عطا (دار الكتب العلمية-بيروت،١٩٨٦م)
- معترك الأقران في إعجاز القرآن ، ضبطه: أحمد شمس الدين (دار الكتب العلمية – بيروت- لبنان ، ١٩٨٨م)
الشوكاني (محمد بن على):
- فتح القدير الجامع في الرواية والدراية من علم التفسير (دار الفكر- بيروت- لبنان ،١٩٧٣م ط٣)
د. صبحي الصالح:
- مباحث في علوم القرآن (دار العلم للملايين- بيروت- لبنان ،١٩٧٤م ط٨)
د. صلاح فضل:
- بلاغة الخطاب وعلم النص(عالم المعرفة- ١٦٤- الكويت ،١٩٩٢م)
الطبري (محمد بن جرير):
- جامع البيان في تفسير القرآن (دار المعرفة- بيروت- لبنان ،١٩٨٠م)
عبد القاهر الجرجاني:
- دلائل الإعجاز ، تحقيق : محمد عبد المنعم خفاجي (القاهرة-١٩٧٧م)
- أسرار البلاغة ، تصحيح السيد / محمد رشيد رضا ( دار المعرفة – بيروت ، ١٩٧٨م )

العلوي (يحي بن حمزة بن علي بن إبراهيم):
- الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز ، راجعه : محمد عبد
السلام شاهين (دار الكتب العلمية- بيروت- لبنان ،١٩٩٥م)
ابن قتيبة (عبد الله بن مسلم):
- تأويل مشكل القرآن ، شرحه ونشره: السيد أحمد صقر (دار التراث- القاهرة ،١٩٧٣م ط٢)
القرطبي (أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري):
- تفسير القرطبي الجامع لأحكام القرآن (دار الريان للتراث- القاهرة ، د.ت)
ابن كثير (عماد الدين أبو الفدا إسماعيل بن عمر):
- تفسير القرآن العظيم (دار المعرفة- بيروت ،١٩٨٣م)
د.محمد العبد:
- النص والخطاب والاتصال (الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي- القاهرة ، ٢٠٠٥م)
د.محمود أحمد نحلة:
- لغة القرآن في جزء عم (دار النهضة العربية- بيروت ،١٩٨١م)

د. مصطفي شعبان عبد الحميد:
- المناسبة في القرآن : دراسة لغوية أسلوبية للعلاقة بين اللفظ والسياق اللغوي
(المكتب الجامعي الحديث- الإسكندرية ،٢٠٠٧م)
مصطفي صادق الرافعي:
- إعجاز القرآن والبلاغة النبوية ، تحقيق : عبد الله المنشاوي
(مكتبة الإيمان- المنصورة ،١٩٩٧م)
أبو هلال العسكري:
- الصناعتين ؛ الكتابة والشعر ، تحقيق : د. مفيد قميحة
(دار الكتب العلمية – بيروت، ،١٩٨١م)